16 em Année No. 804

Lundi — 29 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ١٣٦٨ — ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مثل المهذبين من بني آدم

عندنا في دارنا الريفية عصبة من كلاب الحراسة مختلفة الأسنان والألوان والجنس تعيش في حال مدنية عجيبة : في الليل تتعاون على النباح وتتساعد في الهجوم ، فإذا نبح أحدها سواد إنسان أو ريح ذئب استنبحها جميعاً واستمدها جميعاً ، لا تسأله ما ذا نبح ولا لما ذا عدا . وفي النهار تربض متقابلة في ظلال الشجر ، أو ترقد متجاورة على قش الأرز ، تتهارش حيناً وتتفلّى حيناً ، والصغير يعمد إلى الكبير فيعضه وهو هادئ مستسلم ، والضعيف يجرؤ على القوي فيركبه وهو وادع مستكين .

ثم هذبناها فتهذبت ، ودربناها على النظام فتدربت ؛ وألقى في روعها أن تأخذ بطرف من مدنية الكلاب الأوربية فأحسنت لثم الفم ، وأتقنت ملق العين ، وأجادت بصبصة الذيل ؛ ثم أسرفت في الرقة وأغرقت في التظرف حتى ليكاد كل كلب منها أن يقول : ضعوا على رأسي القبّعة ! !

تلك حال كلابنا ما دامت خارجة من سلطان البطن عاليه وسافله ؛ فإذا قدّم إليها الكلّاب وجبة الغداء ، أو عثر أحدها على عظمة في حواشي الفناء ، انقلب التراحم قسوة ، والتعاطف جفوة ، والتهارش حرباً ، والتفلية عضًّا ، والمدنية وحشية ، والإيثار أنانية ؛ فالأم تتنكر ولدها ، والأخ لا يعرف أخاه ، والطعام الوافر المختص والمشترك تتنازعه المخالب الحداد والأنياب المُنْصل ، فيخرج بالخطف من فم إلى فم ، وينتقل باللقف من يد إلى يد ؛ والكلاب الضعاف والجراء الصغار يقفن منكمشات على بعد ، يسألن بالحق ويتوسلن بالقرابة فلا يرين إلا النظر الشزر ، ولا يسمعن إلا الزئير المهدِّد ؛ حتى إذا غاب الطعام في الأجواف ، ولعقت الألسن آثاره على الخراطيم ، أشبلت الأم على ولدها ، وأقبل الذكر على أنثاه ، وعطف الأخ على أخيه ، وعادت إلى الكلاب حياتها المدنية من مرح الهراش وحنان التفلية وألفة النباح ! !

ذكرت بهذه العصبة عُصَباً أخرى في (ايك ساكسس) وفي (قصر شايو) تلبس الفراك ، وتحذق المواضعات[1] ، وتحفظ الرسوم ، وتفتنّ في الظرف ، وتبالغ في المجاملة ؛ فإذا لمس أحدهم ثوب الآخر عن غير قصد اعتذر ، أو لفظ جملة من غير ابتسام تأسف ! يقضون أيامهم في التشاور الرقيق ، ويمضون لياليهم في التزاور البهيج ؛ ويأدب بعضهم لبعض المآدب الفخمة ، يتساقون فيها الوسكي على نُقْل (الكافيار) ، ويتناوبون الرقص على نغم (الجاز) ، ويتبادلون باللسان المعسول ألفاظ السلام والأمن والعدل والإنسانية والحرية والديمقراطية والعهود والمواثيق ؛ حتى إذا جلسوا إلى مائدة السياسة ، وقُدم إليهم الطعام العربي المرئ والشراب الشرقي المنئ ، تحلبت الأشداق ، واحمرت الأحداق ، وانقلبت حُلل الفراك جلود نمور ، وتحولت الأصابع في القفافيز مخالب صقور ، ووقف

(١) المواضعات : الإتيكيت ، والرسوم : البروتوكول .

المتسلحون بالحق والمنطق على بُعد من المائدة ينظرون بالأعين العَبْرَى إلى مالهم المنهوب وتراثهم المغصوب ، ولا يملكون إلا أن يحتجوا راغمين ، ثم يقولوا نادمين : يا ويلتنا ! ما لسيف الحق لا يقطع ، وما لبرهان المنطق لا يفيد ؟ !

يا قوم ، لقد قلنا لكم : إن القوة هي الحق وما سواها باطل ؛ وإن ابن آدم على الرغم من دينه وعلمه ومدنيته لا يزال عبد العصا وضيعة الدينار . فمن شاء أن يعيش مرهوب الجانب محفوظ الحق فلْيَدعْ سماحة موسى وبلاغة هارون ، ولْيتخذْ قوة شمشون وغنى قارون !

أحمد حسن الزيات

أين كنا وأين صرنا ؟

للأستاذ نقولا الحداد

كنا قبل عصر برنادوت لا نقبل دولة إسرائيل المزعومة ولا حديث لنا إلا عروبة فلسطين فإذا بنا الآن لا حديث لنا إلا الهدنة . وكل يوم نذهب إلى مجلس الأمن باكين ناحبين صارخين : « اليهود خرقوا الهدنة » . نسينا مشروع التقسيم ونسيه اليهود أيضاً . نحن رضينا بالهدنة الدائمة ، واليهود لم يرضوا بالهدنة المؤقتة . الهدنة علينا لا عليهم . الهدنة لهم لا لنا .

لنا وفود سبع دول رسمية في مجلس الأمن وليس لليهود وفد واحد رسمي ، لأن دولة إسرائيل لا تزال مزعومة ، وقد نسينا مشروع التقسيم الذي كنا نجحده ونرفضه رفضاً باتاً وأصبح همنا الآن هل نقبل مشروع برنادوت أو نقبل هدنة بونش الأبدية التي تسمى صلحاً .

إن مصيبتنا هذه جاءت أولا وآخراً من الإنجليز — قبحاً لها من دولة فاسقة مارقة .

كان جيشنا المصري على أهبة أن يحتل تل أبيب ، وإذا اليهود يستغيثون لأنهم أصبحوا على شفا الهلاك ، وأنجدهم مجلس الأمن بأن اقترح هدنة ٣٦ ساعة ، وإذا المندوب الإنجليزي كادوجان يقول لا ٣٦ ساعة لا ماذا تنفع ؟ يجب أن تكون الهدنة ٤ أسابيع . وإذا بها صارت أسابيع ، لأن إنجلترا تهددت بأنه إذا كان العرب لا يقبلونها فيحرمون السلاح فقبلوها ولا سلاح واليهود لم يقبلوها وهم يخرقونها كل يوم وهم طلبوها لكي يقبلها العرب ويخرقوها هم . وهكذا كان .

وانتهت الأربعة أسابيع ولكن اليهود لم يبلغوا كل مآربهم فالتمسوا تجديدها فجددها لهم برنادوت هدنة دائمة . ففعلوا فيها ما شاؤوا لمصلحتهم حتى إنهم قتلوا برنادوت لأنه ارتأى أن يكون النقب للعرب وهم لا يريدون أن يبقى شيء للعرب حتى ولا بقعة الرمل هذه .

ففي الهدنتين جاءتهم الأسلحة من كل ناحية حتى صاروا في مأمن والعرب صابرون ويقولون لا نقبل إلا عروبة فلسطين ودولة فلسطين العمومية ولا دولة لإسرائيل . وبنو إسرائيل يصادقون على هذا القول بالقول . ولكنهم بالفعل هم على غير هذا القول . والإنجليز يقولون لنا : لا بأس ، اقبلوا هذه الهدنة الدائمة واعتبروها صلحاً ، ولكن لا توقعوا على شروط صلح .

انظر هذه البراعة البريطانية . اقبلوا الهدنة كما هي وخلوا جيوشكم في أماكنها ولا تتقدموا . يوم كان اليهود ينهبون سلاح الألمان وغير الألمان بعد معركة العلمين ويرسلونه تحت ذقوننا إلى فلسطين كنا نقول للإنجليز إن هؤلاء اليهود الأثام ينهبون السلاح من معسكراتكم وأنتم غاضون الطرف . لماذا ؟ أليس لكي يحاربوننا به ؟

ولكن الإنجليز كانوا يرمون إلى هذا بدليل أنهم إذا أمسكوا عربياً معه بندقية شنقوه ، وأما يهودي يسوق مركبة مصفحة ملأى بالسلاح فيقولون له ياسمين مبروك .

والآن يستورد اليهود السلاح من كل مكان رغم أنف مجلس الأمن ، وإذا استورد العرب سلاحاً من أي مكان حال الإنجليز وغير الإنجليز دونهم .

إذا قلت لكم أيها العرب أن العالم كله يحاربكم ، فهل ظننتموني مهوّلا ؟ ها قد وصلنا لها .

أيها العرب عيب أن تتوحدوا وتتحببوا لمجلس الأمن . وعيب أن تتذمروا من دول أوربا لأنها تمنعكم أن تتسلحوا ، وأن تتغيظوا من دول أوربا لأنها مستبدة بكم ولأنها غير منصفة لكم .

نعم دول أوربا وأمريكا غير منصفة ، ولا يمكن أن تكون منصفة ، لأن الإنصاف ليس من مصلحتها . تقولون أنها لا تخجل أن تكون جائرة . نعم لا تخجل ولا تستحي ولا يهمها أن تعيروها بقلة الحياء . كان يجب أن تعلموا هذا الدرس ؛ وأن تضحوا بكل شيء في سبيل مصلحتكم لأنكم في وسط هذه أخلاقه ... نعم العالم كله ضدكم لأنكم أكلة دسمة سهل طبخها .

لمحة من سيكولوجية الطفل

عود على بدء

للدكتور فضل أبو بكر

شرحنا فى المقال السابق باختصار — آمل ألا يكون مخلاً — ناحية من سيكولوجية الطفل ووعدنا القارئ الكريم بالعود على ما بدأناه . ولما كان وعد الحر دين — كما يقولون — فإنا نفى بوعدنا فى مواصلة البحث حتى يكون القارئ فكرة واضحة جلية على قدر الإمكان عن هذا النوع من الدراسات النفسانية .

إن إدراكنا لحقائق الأشياء يأتى عن طريق الملاحظة والتجارب بواسطة الحواس كالسمع والبصر ، أو عن طريق المقارنة والاستنباط بواسطة العقل والبصيرة . وهذه التجارب مادية كانت أو معنوية تكتمل عندنا شيئاً فشيئاً كقطرات الماء تتساقط على الأناء الفارغ فتحتل فراغه وتفعم سعته . وكما أن الأوانى تختلف من حيث السعة والطاقة كذلك التجارب عند الناس مختلفة فمنها الواسع المترامى ومنها الضيق المحدود الجوانب . والتجارب نفسها لا بد لها من أسس ودعائم ترتكز عليهــا ومن ضمن تلك الدعامات نذكر اثنتين هما الذاكرة والخيال وهما موضوع بحثنا فى هذا المقال الموجز .

الذاكرة عند الطفل :

ذكرنا فيما ســبق كيفية ملاءمة الطفل — أو غيره من الأحياء — للبيئة التى يعيش فيها وقلنا إن ذلك لا يتم إلا عن الإخضـــاع والتمثيل « Assimilation » وطريق الخضوع والتكييف « Accomodation » .

والذاكرة — كما يتضح لنا — يكون عملها عن طريق الإخضـاع كما أن الخيال يكون مفعوله من ناحية الخضوع .

وذاكرة الطفـل — كما هو متوقع — تختلف اختلافاً أساسياً عن ذاكرة الكبار لأن الذاكرة جزء من « كلية » العقل والعقل محدود الجوانب ، صغرها عند الأطفال يتناسب مع صغر أعمارهم وأجسامهم وهى ظاهرة فسيولوجية طبيعية .

وطريقة عمـل الذاكرة على وجه العموم تكون بواسطة الطرق الأربع الآتية :

(١) تثبيت الذكريات « Fixation dés Souvenirs »

(٢) بقاء الذكريات « Conservation des Souvenirs »

(٣) مكان الذكريات «Localisation des Souvenirs»

فلماذا أنتم هكذا ؟ أتتوقعون من إنجلترا أن تسلحكم ؟

لماذا لا تنشئون آلات ومعامل لصنع السلاح ؟ أليس عندكم مال ؟ أليس عندكم عقول ؟ أليس عندكم عمل ؟ .

أمس كتب الملحق التجارى للسفارة الأمريكية أن بترول الشرق الأوسط هو ٦٠ بالمائة من بترول العالم . فهل هذا قليل وأى سلاح أمضى من البترول . هل تطير طائرة أو تسير سيارة أو تدب دبابة أو تتحرك سفينة إلا بهذا البترول .

بعد ٣ سنين لا يكفى بترول أمريكا أمريكا شهراً أو بضعة أشهر فى ســنة ١٩٥٢ تجوع المدنية الغربية كلها إلى البترول أكثر جداً مما يجوع اللاجئون الآن إلى الخبز .

بعد بضع سنين تتهافت المدنية الشامخة على بترول العراق والحجاز والبحرين وإيران وبترول الصحراء الذى لم يستنبط بعد تهافت النمل على قصعة عسل أو تهافت الذباب على المزابل . بعد بضع سنين يرتفع ثمن لتر البترول من شلنين إلى عشرة شلنات . ولو شاء أصحاب البترول لأمكنهم أن يرفعوه الآن ولا أحد يمتنع عن دفع الثمن لأنه ضرورى للحياة وللحرب .

يا ناس عندنا سلاح قوى جداً ولا نستعمله — ليس فى أمة تخاذل كهذا التخاذل وجبن كهذا الجبن

واليهود من أين يأتون بالبنزين لسياراتهم وطياراتهم و... الخ أليس من بترول العراق والحجاز . يأخذون بترولنا ويحاربوننا به

يا قوم تيقظوا . إن الويل اليهودى القادم عليكم لا تحسون به الآن لأنه لم يقع بعد . ومتى وقع فلا ينفعكم لو ولا ليت .

قيل إن اللاجئين فى شرق الأردن أصبحوا فى درجة من اليأس لا يحتمل وهم يفكرون فى مفاوضة اليهود . وهذا ما يتوقعه اليهود . فإذا حدث سقطت فلسطين كلها فى أيدى اليهود ، ثم تليها شرق الأردن . ثم ... ماذا وماذا ؟ الويل ثم الويل ...

نقولا الحداد

(٤) استدعاء الذكريات « Evocation des Souvenirs »

هـذه هي العوامل الأربعة اللازمة للذاكرة حتى تؤدى وظيفتها وسنشرح فيما يلي كل عامل على حدته :

١ — تثبيت الذكريات . إذا عرضنا أمام ناظر الطفل بعض الأشياء أو الصور أو روينا له حكاية بسيطة مسلية وطلبنا منه بعد حين قصير أن يصف لنا ما شاهده أو يقص علينا ما سمعه تبين لنا أن قوة التثبيت ضعيفة عنده كما أن الماديات تكون أثبت في ذاكرته من المعنويات وأنها تعتمد كل الاعتماد على الحس .

٢ — بقاء الذكريات : يكون عنده بطريقة غير متساوية من حيث المدة فقد ينسى ما تقصه عليه منذ ساعات قلائل ثم يتذكره بعد مضى بعض الوقت كما أن بقاء الذكريات يكون مرهوناً بغريزة تمركز اهتمام الطفل حول نفسه « Egocentrisma » ويبدو الطفل هنا أنانياً مغرضاً كما هو الواقع بدليل أن الأشياء التي تهمه دون غيره أو يرى فيها إرضاء لرغبته تكون أبقى في ذاكرته وإن كان هذا البقاء نفسه قصير الأمد ، ولكنه عند الأطفال يخضع لسلطان « الوعي » بخلاف الحال عند الكبار إذ يكون بقاء الذكريات من عمل « اللاوعي » .

٣ — مكان الذكريات : ونقصد بذلك المكان الذي تحتله بالنسبة لزمن حدوثها وتتابعها وفقاً لدرجة أسبقيتها ، وفي هـذه الحالة يتضح لنا ضعف ذاكرة الطفل لأنه يجهل فكرة « الزمن » ومن هنا يتعذر عليه ترتيب الذكريات ومن هنا كان لغطه وخلطه للحوادث ، ولا ينتظم ترتيب ذكريات الطفل وإحلالها المكان اللائق لها إلا ما بين العام السابع والحادي عشر من عمره إذ يكون وقتئذ قد كون فكرة عن الزمن .

٤ — استدعاء الذكريات : هو نوع من الاجترار لما يختزنه مستودع الذاكرة إذ يتسنى للكبار أن يستدعوا ذكرياتهم ، وقد تسعفهم في كثير من الأحيان لأنه في استطاعتهم أن يوجهوا تفكيرهم في ناحية خاصة ويتحكموا فيه بخلاف الحال عند الأطفال إذ يكون بطريقة تلقائية غير إرادية كالببغاء وهذا ما يحدث عند الطفل ما بين سن الثانية إلى الخامسة وهو ما نشاهده عند الأطفال حينما يسمعون قطعة من المحفوظات فيكون إلقاؤهم لها بصوت على وتيرة واحدة لا تتغير نبراته بطريقة حرفية تلقائية خالية من الفهم والوعي لما يلقونه .

أسباب ضعف ذاكرة الطفل :

قلنا إن تثبيت الحوادث وبقاءها وترتيبها حسب الزمن واستدعاءها عند اللزوم في ذاكرته كل ذلك إنما يكون بطريقة بدائية غير مكتملة ، وذكرنا الأسباب المؤدية لذلك . وهنالك عاملان يؤديان إلى ضعف ذاكرة الطفل وهما : (١) النسيان . و (٢) تشويه الذكريات وتبديلها في ذاكرته .

١ — النسيان : يحدث عند الكبار لعدة أسباب : منها « الفسيولوجية » بمعنى أن يعترى الذاكرة نوع من « التآكل » وعدم القابلية للاستيعاب بسبب التعب الجسمي أو العقلي . وهنالك أسباب « سيكولوجية » كالصدمات النفسية العنيفة التي تحدث في النفس نوعاً من القبض « Inhibition » فيشل التفكير ويغيض معين الذاكرة . وأسباب «باثولوجية» كما يحدث في بعض الأمراض العقلية كالذهان والعُصاب ، أو بعد نوبة الصرع ، أو لأمراض معدية أو وبائية كالحمى التيفودية والالتهاب السحائي ، كل هـذه الأمراض تسبب ضعفاً في الذاكرة ينتج منه النسيان .

كل ما ذكرنا من أسباب إنما هي شخصية تعترى الشخص نفسه فتسبب له النسيان . وهنالك أسباب أخرى خاصة بالأشياء « Objectives » تتصف بها تلك الأشياء فتسبب أو تساعد على نسيانها . مثال ذلك تفاهة الأشياء والأثر الضعيف الذي تتركه في الذاكرة فلا يلبث أن يزول وتختفي معالمه . ومنها كون الأشياء بغيضة على النفس غير محببة لها فتلفظها لفظ النواة وتسقطها من حسابها .

أما عند الطفل فأكبر سبب للنسيان ناشيء عن انحطاط درجة تفكيره الذي يشمل الذاكرة أيضاً ولأن إدراكه « Perception » للأشياء خاطيء وقد سبق أن شرحنا ذلك وبينا الأسباب المؤدية إليه وهي غير الأسباب المؤدية للنسيان عند الكبار .

٢ — تشويه الحوادث وتبديلها في ذاكرة الطفل : تأخذ الحوادث والأشياء صورة ممسوخة مشوهة في ذاكرة الطفل وهو يعتقد بصحتها ، كما أنه من الصعب بل المتعذر في كثير من الأحيان الوصول إلى تغيير هذا الوضع الخاطيء في ذاكرته .

ولنضرب لهـذا مثلا وهو إذا روينا قصة لطفل ورجوناه

بعد قليل من الوقت أن روى لنا ما سمع أو بقصها على طفل آخر ورجونا هذا الأخير أن يقصها على طفل ثالث تبين لنا فى النهاية أن القصة الأولى قد مسخت وكادت معالمها أن تزول ؛ وذلك أن كل طفل يزيد عليها من الحواشى والتعاليق بما يتفق وهواه ؛ كما نلاحظ ظاهرة أخرى وهي نزعة الطفل إلى « الخرافة « Fabulation » كما قد تبقى آثار هذه الظاهرة عند الكبار ولكنها تصدر منهم عن « وعى » بخلاف ما يحدث عند الأطفال إذ تصدر من « اللاوعى » .

الخيال عند الأطفال :

علمنا مما سبق شرحه بأن الذاكرة عامل لابد منه للاءمة البيئة وهى عند الطفل تخضع لظاهرة الإخضاع «Assimilation» ماؤها التحيز والأنانية والمادية ، وهى صفات فسيولوجية وسيكولوجية لازمة لنمو الطفل .

إن الذاكرة والخيال يعملان معاً ويكمل كل منهما الآخر ؛ ولكن فى بدء حياة الطفل يكون أثر الذاكرة أوضح ظهوراً وأقوى مفعولا من أثر الخيال الذى يكون فى بادىء الأمر ضئيلا جداً ، ثم ينمو بنمو جسم الطفل وعقله وهو بلا شك أعلى مرتبة من الذاكرة ، وبعد خطوة واسعة إلى الأمام فى سبيل التطور العقلى ، وهو بالعكس من الذاكرة يخضع لظاهرة الخضوع والمصانعة « Accomodation » وهو العامل الثانى اللازم لملاءمة البيئة ، وظاهرة الخضوع والمصانعة هى ظاهرة شاقة عسيرة على الطفل وفيها نوع من التضحية من جانبه .

والخيال — على وجه العموم — هو القدرة على رسم صور لما وعيناه أو تأملناه من فكر وأشياء ، ثم الربط بين تلك الصور والأفكار وإبرازها جليه واضحة فى مخيلتنا فى شبه « لوحة « Tableau » كاللوحات الزيتية التى يصورها ويرسمها الفنانون والرسامون .

والخيال ضد الواقع ، وإذا قيل عن إنسان إنه خيالى فمعنى ذلك أنه ليس واقعياً ، وكما يعرف الفيلسوف الفرنسى « باسكال « Pascal » بأنه قد يكون مصدراً للأخطاء والأغلاط

يختلف خيال الكبار عن خيال الأطفال لا فى وسعه وخصوبته وذكائه عند الكبار فحسب ، ولكن فى نوعه وطريقة عمله ، فهو أجنح إلى المادية يعنى بها أكثر بكثير من عنايته بالمعنويات كما أنه تلقائى « Spontanée » يصل إلى الهدف عن أقرب طريق .

فإذا ما شاهد الطفل مثلا قطرات الندى فى الصباح الباكر تكلل الحشائش أو تتدلى من أعطاف الورد فقد يتبادر إلى ذهنه فوراً بأن الورد حزين باك يذرف الدمع ؛ وإذا رأى فراشاً ملوناً « Papillons » يتطاير فى الحقول فقد يظنه زهوراً طائرة .

فمن هنا نرى أن خيال الطفل يصل إلى هدفه من غير كبير عناء . وقد يتراءى لنا فى هذه الحالة بأن للطفل مسحة شاعرية لأن الشاعر فى مثل هذه المواقف وبعد أن يكد خياله ويتذوق ما فى المشهد من جمال وروعة لا يقول أكثر مما قاله الطفل بأن الورد قد احمر خجلا أو بكى حزناً ، أو أن الزهور تتطاير فرحاً أو هلعاً ، وكل ما هنالك من فرق هو أن الشاعر يحلم ويتذوق والطفل يجزم ويجد ما يقع تحت ناظره ويرتسم على خياله .

يقول الفيلسوف « أوجست كنت » مؤسس مذهب الإيجابية بأن الخيال يمر بثلاثة أطوار :

الطور الأول : هو الطور الدينى فقد تخيل الإنسان الأول فكرة الدين والآلهة ، وهى فكرة مرماها الفسيولوجية ، والسيكولوجى هو ملاءمة الإنسان لبيئته وأمله فى الخلود تتجلى فيها ظاهرتا الإخضاع والخضوع بصورة جلية واضحة . يخضع للآلهة ويتقرب إليها حتى إذا ما فاز منها بالحظوة والرضا استعمل بدوره تلك الحظوة وذلك الرضا فى إخضاع بيئته من طبيعية واجتماعية وأصبح أقوى نفساً وأشد مراساً فى حربه الدائمة السرمدية مع تلك البيئة .

ذكرنا أيضاً فى المقال السابق بأن «الحيوية» «Animismé» هي من مميزات عقلية الطفل يشاركه الإنسان الأول فى هذه الصفة إذ كان يعير الأصنام والجادات شيئاً من الحيوية والإرادة والتفكير ومن هنا كان يخشى بأسها ويرتجى معونتها . كذلك الطفل فى سنه المبكرة يرى فى بعض الجادات حياة وإرادة ، فانظر إليه يناجى لعبته ويناغيها حيناً ، ثم لا يلبث أن تتغلب عليه صفة القلق السريع والتحول الفاجىء فينبذها ويقصيها . وقد تتغلب عليه غريزة « الإخضاع » والسيطرة وحب الذات إذا لم تسر على هواه أو تتكيف على صورة خاصة كما لو كانت ذات وعى وإرادة .

الطور الثانى : هو الطور « الرومانتيكى » والوهمى يظهر فيه

الطفل تقدماً محسوساً ، فبعد أن كان في الطور الأول يعتقد في حيوية بعض الجمادات من أدوات لعبه تتضح له ماهيتها الحقيقية ، ولـكنه في هذا الطور يلجأ إلى « الفرض » ويستعمل « المجاز » فيتخيل مجازاً بأن لعبته كائن حي لأن في ذلك لذة شاعرية نفسانية وهذا الفرض نفسه إنما ينتج عن « الوعي » . ويمكننا أن نعتبر هذا الطور بداية الشاعرية والخيال الحقيقي . كذلك بعد أن كان الأطفال في الطور الأول يعتقدون في وجود « بابا نويل » ولا يرتابون في أمره وبأنه هو الذي يهبط من السماء في صبيحة رأس السنة الميلادية وعيدها ويأتيهم بالهدايا والتحف يبدءون يتشككون في أمره بل ينكرون وجوده وإنما هي حيلة ودعاية من والديهم وذويهم يقصد منها جلب السرور إلى أنفسهم. غير أن هنالك نوعاً من خيبة الأمل تحدث للأطفال حينما تتبين لهم حقيقة « البابانويل » أو غيره من الأشياء التي كانوا يتخيلونها على هواهم ؛ لهـذا يفرضون مجازاً وبمحض وعيهم وخيالهم بأن « البانويل » يهبط من أعلى السماء ويأتيهم بما يشتهون لأن في الوهم الرومانتيكي لذة نفسية ، كما أن ذلك يحول الكبار ويشعرون بشيء من السرور لبقاء آثار هذا الطور الرومانتيكي عالقة في أذهانهم وإن كنا لا ننكر بأن غبطة صغارهم هي العامل المباشر لجلب السرور إلى أنفسهم . وهذه اللذة النفسانية يشعر بها مؤلفو قصص الأطفال والأمثال الخرافية مثل أمثال لافونتين الخرافية .

الطور الثالث : يتولد فيه عند الطفل كبير من الوعي وينقد فيه ما كان يسلم به تسليما آليا تلقائيا « Sens Critqué » كما يجنح إلى الواقعية ويصبح خياله مرتبطاً منظما بعد أن كان مفكك الحلقات مفقودها في أغلب الأوقات وهو ما يظهره خطأ أو يتراءى للانسان وسمه بالنسبة لعقلية الطفل هذا الخيال الذي كان واسعاً سطحياً — لتفككه يصبح عميقاً — لتركزه وربطه — محدود الجوانب . كما تبدو عند الطفل آثار قوة الملاحظة.

كما أن آثار الطور الثاني لا تزال تبقى لدى الطفل ولـكنها تضمحل شيئاً فشيئاً ويحل محلها الخيال العملي وهو كما يلقبونه « بطور البناء » هو بداية الإنتاج والابتكار لدى الطفل .

هذا وقد يعتري الخيال نوع من الشذوذ في سن المراهقة وهي كما نعلم أخطر الأطوار في نمو الطفل جسمياً وعقلياً ونفسانياً نذكر بعضها باختصار .

١ — « الميثومانية » Mytinmahoie وهي نزعة يجنح فيها لخلق الأكاذيب والمقـدرة على حذفها وتصبح له عادة وهواية لا ينفك عنها بل تلازمه طيلة حياته إذا لم يبادر بملاجه منها .

٢ — « البوفارزم » Bovarysme وهو نوع من « الميقالومانيا » هو تخيل المراهق بأنه ذات مصونة وشخصية مرموقة .

٣ — « الشزويدية » Schigoidie وهو أخطر أنواع الشذوذ والأمراض النفسانية التي قد يصاب بها المراهق . ومن خواصها وعوارضها أن المراهق يستسلم « لأحلام اليقظة » ويستحل الاستغراق فيها يطلق لخياله العنان ويسبح في ملكوت الأوهام ثم يجنح إلى العزلة يهاب المجتمع أو يحتقره في بعض الأحيان ويبني « قصوراً في الهواء » كما يقول المثل .

هذا الشذوذ قد يصاب به بعض الفلاسفة والفنانين ولـكنه يقف عندهم عند هذا الحد . أما لدى الطفل فقد تشتد وطأته ويفضي به إلى ما هو أدهى وأمر ، ونقصد بذلك داء « الفصام » Schidophrén e

ومن علامات ظهوره عند المراهق هي اشتداد عوارض « الشزويدية » فينطوي الطفل على نفسه انطواء تاماً ويبدو خجولا متسكناً ولا سيما في حضرة من هم مثل سنه ، وإذا أرغم على مجالسة غيره فقد يفضل أن يكون ذلك مع الكبار .

يصور له خياله آفاقاً بعيدة وأهدافاً عالية تصبو نفسه إلى تحقيقها ولـكنه لا يبدي مجهوداً لتحقيقها لأن المجهود يتطلب مواجهة الواقع ومصارعة الصعاب وهو ما يفر منه فراراً فيفضي به الحال إلى الإخفاق فيحز ذلك في نفسه ويريد من فصامه في شكل « دائرة خبيثة » وكلما ازداد تحفزه وطموحه وتوثبه ازداد إخفاقه وابتعاده عن غايته على حد قول الشاعر :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

أو كما تقول الحكمة القائلة « السائر على غير هدى كلما ازداد جداً ازداد عن غرضه بعداً » .

هـذه لمحة مختصرة من سيكولوجية الطفل عل القارئ أن يجد فيها بعض الفائدة .

(باريس) **فضل أبو بكر**

عضو بعثة فاروق الأول الروحانية بفرنسا

بين البحترى وشوقى

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

انتهت المؤامرة التى دبرها المنتصر مع الأتراك ، بقتل الخليفة المتوكل سنة ثمان وأربعين ومائتين من الهجرة ، وكان البحترى الشاعر فى المجلس الذى تم فيه ذلك الاغتيال ، فثارت عواطفه ، فأنشأ قصيدة يرثى بها مولاه القتيل ، ويقرع فيها ابنه ولى العهد رأس هاته المؤامرة ، ويقول :

أكان ولى العهد أضمر غدرة   فمن عجب أن ولى العهد غادره
فلاملّى الباقى تراث الذى مضى   ولا حملت ذاك الدعاء منابره
ولا وأل المشـــكوك فيه ولا نجا   من السيف ناضى السيف غدرا وشاهره

فكانت تلك القصيدة من عوامل الجفوة ، بينه وبين الخليفة الجديد . والظاهر أن الشاعر قد اضطهد فى بدء ذلك العهد ، فنبت به بغداد وسر من رأى ، وأزمع الرحيل حتى يعود إلى الجو نقاؤه وصفاؤه ، وحتى ترجع حياته إلى سابق عهده بها ، لينة سهلة وادعة ، فاختار أن يرحـل إلى المدائن عاصمة دولة الفرس القديمة ، راجياً أن يجـد فى تلك الرحلة المظة والتسلية . ولقد أثمرت رحلته تلك قصيدة رائعة قل نظائرها فى الأدب العربى كله ، وكان لها صدى فى نفس شاعرنا المغفور له شوقى ، فقد نفى فى أيام الحرب العظمى الماضية إلى الأندلس ، وظل بها حتى وضعت الحرب أوزارها ، فرأى واجباً عليـه قبل العودة إلى وطنه ، أن يزور آثار العرب التى خلفوها بتلك الديار ، وكان البحترى رفيقه فى الترحال ، وسينيته التى خلد بها إيوان كسرى تملك من شوقى نفسه ، قال « فكنت كلما وقفت بحجر ، أو أطفت بأثر ، تمثلت بأبياتها ، واسترحت من مواثل العبر إلى آياتها ، وأنشدت فيما بينى وبين نفسى :

وعظ البحترى إيوان كسرى   وشفتنى القصور من عبد شمس

ثم جعلت أروض القول على هذا الروى ، وأعالجه على هذا الوزن ، حتى نظمت هذه القافية المهلهلة » .

بدأ الشاعران قصيدتيهما محنقين مما رمتهما الأيام به ؛ أما البحترى فسر حنقه خوفه على رزقه أن يطفف ، وخشيته على عيشه أن ينقص :

بلغ من صبابة العيش عندى   طففتهـا الأيام تطفيف بخس
وبعيد ما بين وارد رفـــه   عـــلل شربه ووارد خمس
وكأن الزمان أصبح محمـــولا هواه مع الأخس الأخس

وهنا يثور فيه الحنين إلى وطنه الشام ، فيرى أنه لم يكن حكيما ، يوم باع هذا الوطن ، واشترى به العراق ، ولكنه لا يسرف فى هذه الثورة ، ولا يطيل ، بل يكتفى بقوله :

واشترائى العراق خطة غبن   بعد بيعى الشآم بيعة وكس

أما شوقى فيبدأ قصيدته بالحنين إلى الشباب وملاعب الشباب ، والحنق على هؤلاء الذين حرموه الإقامة فى وطنه ، وأبعدوه عنه ، ويرق شوقى فى حديثه عن قلبه الذى لم يسل بلاده ، فهو متنبه مستطار ، إذا استمع إلى البواخر مقلعة أو عائدة ، فيقول :

وسلا مصر ، هل سلا القلب عنها   أو أسا جرحه الزمان المؤسى
كلمـــا مرت الليالى عليه   رق ، والعهد فى الليالى تقسى
مستطار إذا البواخـر رنت   أول الليل أو عوت بعد جرس
راهب فى الضلوع للسفن فطن   كلما ثرن شاعهن بنقس

فهذا القلب يكاد يطير من بين أضالعه كلما أصغى إلى باخرة تصيح فى هدأة الليل ، وهو كالراهب المتبتل يدق ناقوسه ، كلما ثارت سفينة ، تزمع الرحيل ؛ وهنا يأسى شوقى لحرمانه من وطن ينعم به حتى غير أهله وذويه :

أحرام على بلابله الدوح ، حلال للطير من كل جنس

وإذا كانت ثورة البحترى على بعده عن وطنه قد وقفت عند حد إعلانها ، فلم يحدثنا عن هذا الوطن قليلا ولا كثيرا ، فإن الذكريات تنهال على شوقى ، وصورة بلاده تتمثل أمامه ، فيطفىء شوقه بالحديث عن طبيعتها حينا ، وعن آثارها حينا آخر ، وإنه ليسمو إلى أبعد الغايات فى تصوير هذا الشوق إذ يقول :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه   نازعتنى إليه فى الخـلد نفسى
وهفا بالفـــؤاد فى سلسبيل   ظمأ للسـواد من عين شمس
شهـد الله لم يغب عن جفونى   شخصه ساعة ولم يخل حسى

وينتقل خيال شوقى بين الإسكندرية ، وعين شمس ،.

والجزيرة ، والنيل ، والجيزة ، وبين الأهرام وأبى الهول ، وإذا كنت لا أستسيغ بعض أخيلة شوقى هنا : كتصوير الجزيرة عرساً :

قدها النيل فاستحت فتوارت ... منه بالجسر بين عرى ولبس

أو تشبيه الأهرام بعيران فرعون .

أو قناطيره ، تأنق فيهـــا ... ألف جاب وألف صاحب مكس

فإن حديثه عن أبى الهول حديث معجب حقاً ، يبعث فى النفس تعظيم الأثر ، ومقيمى الأثر .

ورهين الرمال أفطس إلا ... أنه صنع جنة غـــير فطس

تتجـــلى حقيقة الناس فيه ... سبع الخلق فى أسارير إنسى

ثم يقف شوقى مستلهما العظمة من حوادث الأيام ، فيرى دولا تقوم ، وأخرى تسقط ، وملوكا ينهضون بالملك ثم لا تلبث شمسهم أن تتوارى . وهنا ينتقل انتقالا طبيعياً إلى الحديث عن دولة العرب فى الأندلس ، فيقف عند آثارهم يستوحيها ، كما وقف البحترى عند آثار الأكاسرة يستلهمها ، وهنا يبدو تأثير البحترى واضحاً فى شوقى ، فقد وصف البحترى ما رأى بعينه ، وصور له الخيال ماضى تلك الآثار ، فرسم ما تخيل ، ووازن بين الماضى والحاضر ، وكانت تلك الموازنة مصدر التأسى والاعتبار ، وعلى هذا النسق سار شوقى فى قصيدته الأندلسية .

راع البحترى ما رأى من خالد الأثر ، فانطلق يعلن إعجابه ، معترفا بأن تلك الآثار الجليلة لا يمكن أن يوزن بها أطلال العرب ولا آثارهم فى صحاريهم القفرة :

حلل ، لم تكن كأطلال سعدى ... فى قفار من البسابس ملس

ومســـاع لولا المحاباة منى ... لم نطقها مسعاة عنس وعبس

ولقد كان البحترى متفننا ماهراً ، يحاول أن ينقل إليك الأثر الذى أحس به عند ما وقف أمام آثار الفرس ، فيلجأ إلى التشبيه حيناً ، وإلى تصوير ما رآه حيناً آخر ، وإلى الخيال يكمل به الصورة ، حتى تصبح واضحة مؤثرة : فهذا الجرماز — وهو قصر بجانب القصر الأبيض — قد صار مقفراً مهجوراً ، يوحى إلى النفس بالوحشة التى تملؤها عند رؤية القبور ، وإن فى هذا القصر من العجائب مايدل على عظمة منشئيه ، ومن بين ذلك صورة تسجيل معركة حربية دارت بين الروم والفرس عند مدينة أنطاكية ، وقد وقف الشاعر أمام هذه الصورة مذهولا لما فيها من الدقة والإحكام ؛ فهذا أنوشروان يقود الجيش ، مدفوعا إلى القتال بهذا العلم المنصوب ، يحفز الهمم ويحث العزائم ، وقد ارتدى المليك لباساً أخضر ، وامتطى صهوة حصان يزدهى عجبا ، ويختال تحت راكبه ، وهذا الجيش قد أقبل على المعركة يصطلى نيرانها ، ولا تكاد تسمع إلا صوت السلاح ، فهذا جندى يقبل على عدوه بالرمح ، وذاك يتقى السنان بالترس ، ولقد بلغ من إحكام تلك الصورة أنها تخيل لرائيها أن ما يراه جيش حقيقى لا صورته ، كما ملأ الوهم نفس البحترى ، فأقبل يلمس الصورة بيده ، ليتأكد أنها صورة لا حقيقية ، قال :

فإذا ما رأيت صورة أنطاكية ... ارتعت بين روم وفرس

والمنايا موائل ، وأنو شروان ... يزجى الصفوف تحت الدرفس

فى اخضرار من اللباس على ... أصفر يختال فى صبيغة ورس

وعراك الرجال بين يديه ... فى خفوت منهم وإغماض جرس

من مشيح يهوى بعامل رمح ... ومليح من السنان بترس

تصف العين أنهم جد أحياء ... لهم بينهم إشـــارة خرس

يغتلى فيهم ارتيابى حـــتى ... تتقـــراهم يداى بلمـــس

وهذا الإيوان فى القصر الأبيض عجيب الصنعة تراه فيخيل لهذه الكآبة التى تغمره أنه مزعج بفراق إلف عزيز عليه ، أو مرهق بتطليق عرس ، فكأنه يشعر بأحداث الزمان ، ويحس بثقله عليه ، ولكنه يحتمل متجلداً ، وبرغم ما أصيب به من استلاب زينته ، وعرائه من بسط الديباج ، وستور الدمقس ، لم يزده ذلك إلا عظمة وجلالا ؛ ويجمل الشاعر إعجابه الذى لا حد له فى قوله :

ليس يدرى ، أصنع إنس لجن ... سكنوه ، أم صنع جن لإنس

وهنا يسبح الخيال بالبحترى ، فيعود به إلى عهد العظمة والمجد ، الذى ظفر به فى القديم هـذا القصر الموحش الضخم ، فها هو ذا المليك بين حاشيته ، وقد جلسوا فى مراتبهم ، يستقبل الوافدين عليه فى إجلال وخشوع ، بينما القصر يموج بمن فيه : قيان يملأنه بالغناء ، ويعمرنه بالسرور ؛ أما اليوم فقد انقضى كل شىء ، وصار موضع عظة وعبرة ، ولا يبخل البحترى على القصر بدموع يذرفها ، برغم أن الدار ليست داره ، ولا الجنس جنس

قومه ، ولكنه يحفظ للفرس هذه اليد التي أسدوها إلى اليمنيين أهله ، يوم أعانوهم على التخلص من غزو الحبش الذين بعثوا إليهم بجيش يقوده أرياط ، ونشتم رائحة الشعوبية من بعض أبيات القصيدة كما مضى ، ومن هذا البيت الأخير الذي ختمها به ، وفيه يعلن إعجابه بالأمجاد من جميع الأجناس ، لا فرق بين عربي وعجمي ، قال :

وأراني من بعد أكلف بالأشراف طراً من كل سنخ وأس

ويسير شوقي هذا النهج تقريباً ؛ يصف الأثر في حاضره ، ويمضي به الخيال إلى الماضي ، فيصف ما كان له من أبهة وجلال

زار شوقي قرطبة فراعه ما آل إليه أمر تلك العاصمة القديمة فقد انتقص الدهر أطرافها فعادت قرية حقيرة لا شأن لها ، بعد أن كانت في القديم على عهد العرب ، أعظم بلاد أوربا وأرقاها ، يقول شوقي :

لم يرعني سوى ثرى قرطبي لمست فيه عبرة الدهر خمسي
يا وقى الله ما أصبّح منه وسقى صفوة الحيا ما أمسى
قرية لا تعد في الأرض كانت تمسك الأرض أن تميد وترسي
غشيت ساحل المحيط وغطت لجة الروم من شراع وقلس

وإذا كان البحتري قد تخيل قصور المدائن وجلالها ، فقد تخيل شوقي قصور قرطبة وأبهتها ، وقلده في تصويره الناصر تحت الدرفس . ويعود البحتري إلى يقظته فيرى الدار خلاء ، كما عاد شوقي إلى يقظته فوجد الدار ما بها من أنيس ، وخص البحتري الإيوان بجزء من قصيدته يمجّده ، وشوقي قد خص المسجد العتيق بجزء من شعره يخلده ، وأرى هذا الجزء أروع أجزاء القصيدة وأقواها ، إذا استثنينا تشبيهه أعمدة المسجد بألفات ابن مقلة ، إذ هو أشبه بوزن الجبل بالنملة . أما الأثر الذي أحس به شوقي عندما وقف أمام هذا المسجد العتيق ، فقد نجح في تصويره تصويراً ينقل هذا الأثر إلى نفوسنا ، إذ يقول :

ورقيق من البيوت عتيق جاوز الألف غير مذموم حرس
أثر من (محمد) وتراث صار (للروح) ذي الولاء الأمس
بلغ النجم ذروة وتناهى بين (ثهلان) في الأساس و (قدس)
مرمر تسبح النواظر فيه ويطول المدى عليها فترسى
وسوار كأنها في استواء ألفات الوزير في عرض طرس
فترة الدهر قد كست سطريها ما اكتسى الهدب من فتور ونعس
ويحها ، كم تزينت لعليم واحد الدهر واستعدت لخمس
وكأن الرفيف في مسرح العين ملاء مدنرات الدمقس
وكأن الآيات في جانبيه يتنزلن من معارج قدس
منبر تحت (منذر) من جلال لم يزل يكتسيه أو تحت (قس)
ومكان الكتاب يغريك ريّا ورده غائباً فتدنو للمس
صنعة الداخل المبارك في الغرب ، وآل له ميامين شمس

ومما لا ريب فيه أن الذي دفع البحتري إلى لمس الصورة ، أقوى مما دفع شوقي إلى لمس مكان الكتاب .

وزار شوقي الحمراء ، ووقف عند آثارها ، ولا سيما مجلس السباع الذي أصبح خلاء مقفراً ، خلده شوقي في شعره ؛ ويقف شوقي حزيناً كئيباً ، يتخيل العرب وهم يغادرون بلاد آبائهم في ذلة وضعف فيقول :

خرج القوم في كتائب صم عن حفاظ كوكب الدفن خرس
ركبوا بالبحار نعشاً وكانت تحت آبائهم هي العرش أمس
رب بان لهادم ، وجموع لمشت ، ومحسن لمخس
إمرة الناس همة لا تأتى لجبان ، ولا تسنى لجبس
وإذا ما أصاب بنيان قوم وهي خلق ، فإنه وهي أس

وكما ختم البحتري قصيدته بشكر الفرس على ما كانوا قد أسدوه إلى قومه اليمن ، من سابق اليد ، ختم شوقي قصيدته بشكر الأندلس على ما قدمت إليه من كرم الضيافة له ولا بنيه .

أحمد أحمد بدوي

محمــــــد إقبــــال

شاعر الشرق والاسلام

١٣٨٩ — ١٨٧٣ ١٤٥٧ — ١٩٣٨

للأستاذ مســـعود الندوى

(تابع)

٦ — « مسافر » : مجموعة شعره الذى قاله أثناء سفره إلى أفغانستان سنة ١٩٣٢ على دعوة[١] من مليكها الشهيد الغازى نادر خان . وفيه نصائح لشبان بلاد الأفغان ورجالهم . ومما يسرنا ذكره بهذه المناسبة أن شباب الأفغان يدرسون شعره ويستفيدون من حكمه مثل شباب الهند . وقد بين لنا ذلك أستاذنا الجليل ، العلامة المحقق السيد سليمان الندوى — أمتعنا الله بطول بقائه — الذى كان زميل شاعرنا فى هذا السفر . وذكر لنا الأستاذ — أدامه الله — شيئاً كثيراً من مزايا محمد إقبال مما لا يتسع المقام لذكره . ومما ذكره الأستاذ بوجه خاص أنه حينما زار محمد إقبال جلالة الملك نادر أول مرة فى كابل جعلا يبكيان ساعة من الزمن ، والقوم صامتون ينظرون إلى مسلمين مخلصين ، أحدهما حكيم والآخر ملك ، يتكلمان بدموع العين ، لقد صدق من قال :

لسانى عيى فى الهوى وهو ناطق ودمعى فصيح فى الهوى وهو أعجم

٧ — بال جبريل (طير الناجبريل) : كان الشاعر بادىء ذى بدء يقرض فى الأردية ، ولذلك نرى جميع عيون شعره من الأدوار الأولى فى هذه اللغة . ولما سمت فكرته ونضجت آراؤه اتخذ من الفارسية آلة لإبداء أفكاره وجعلها وسيلة لإذاعة شعره فى جزء غير يسير من أنحاء العالم الإسلامى ، ولذلك جاءت جميع دواوينه بعد « بانك درا » فى اللغة الفارسية . وقد شدا يذكرها فى بيت له من « پيام مشرق » ولله دره حيث قال :

(١) كان دعا جلالة ملك أفغانستان ، الأساتذة الأجلاء : السيد سليمان الندوى ، والدكتور محمد إقبال والسر راس مسعود « حفيد السر سيد أحمد خان » ليستشيرهم فى تأسيس بنيان الجامعة الأفغانية بكابل ، لكن المنية عاجلته رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فراديس جنانه .

تنم كلى زخيا بان جنت كشمير
دل أز حريم حجاز ونواز شهر از است

إن جسمى ريحانة من رياض الجنة الأرضية كشمير[١] ، والقلب منبته بلاد الله الحرام وأفانين الكلام مقتبسة من ألحان شهراز .

لكن اللغة الفارسية ، حينما وسعت نطاق المعجبين بشعره فى خارج الهند ، قللت من قرائه والمستفيضين من ينبوع حكمته فى داخل البلاد ، وطالت شكوى أهلها من شاعرهم ، حتى إن بعض حماة الأردية أرادوا أن يغضوا من شعره الفارسى ، وتقول غيرهم أن الشاعر اختار الفارسية ليكون فى مأمن من قوانين الحكومة الصارمة . لأجل هذا وذاك أراد الشاعر أن يعود « والعود أحمد » إلى الأردية ، فنشر سنة ١٩٣٢ هذا الديوان الذى بذ جميع دواوين شعره فى الحكمة وتعمق الأفكار ومعظم كلماته فيه نتيجة ما شاهده وتأثر به خلال أسفاره إلى بلاد أوربا ... لندن وباريس وروما والأندلس ... وبلاد العرب عام ١٩٣١ ، ولقد أجمع النقاد على أن صاحبنا كان شاعراً أو فلسفياً فى مجاميع شعره السابقة ، لكنه حكيم فى هذا الديوان ، لا غيره . ومن خصائص هذه المجموعة أن صاحبنا تناول المشائخ (المعروفين بـ « ملا » فى الهند) والمتصوفين بالنقد اللاذع فى غير واحدة من كلماته . شىء لم نره فى مصنفاته السابقة . ومن ميزاته أنها تشتمل على معجزات القصائد التى ألهمها صاحبنا فى الأندلس وفلسطين حينما تكشفت لعينيه الحجب الظاهرية ورأى بعينه ما لا يتيسر لغيره أن يراه . لكن هذا الديوان ، على ما فيه من بدائع الحكمة ومشاهدات الأندلس وفلسطين ، ينقصه شىء عظيم ، وهو أن معظم المولعين بشعره لا يقدرون على إدراك مغزى كلامه ، لكونه مصبوباً فى قالب من الشعر المتأنق والحكمة العميقة البالغة ، وإنما يتذوقه المتأدبون والذين لهم ذوق فى الشعر متأصل .

٨ — ونظراً إلى ذلك عنى بنشر ديوان آخر سماه « ضرب كليم » (ضربة موسى كليم الله) أودعه آراءه فى جميع شعب الحياة العصرية ، مجردة عن الفلسفة وزخارف الشعر ، بحيث يفهمه

(١) أصل الشاعر الحكيم كشميرى من عائلة برهمية . ثم نزح آباؤه إلى بلدة سيالكوت فى بنجاب وفيها نشأ وترعرع وتعلم إلى أن انتقل إلى مدينة لاهور فى آخر عهده بالطلب ثم استوطنها وبها توفى .

كل من له أدنى إلمام بالأدب ، إن كان له حظ فى المسائل الدينية والسياسية المعروضة على بساط البحث والنقد .

وقد فسر الشاعر الحكيم بنفسه اسم هذا الديوان (ضرب كليم) بأنه « إعلان حرب على العصر الحاضر » وقد صدق رحمه الله ، فى هذا التفسير ، لأنه فنّد فيه آراء أهل الغرب والمتفرنجين وقطعها إرباً إربا ، وانتقد جميع نظرياتهم السياسية ؛ فلا ريب أن (ضرب كليم) « إعلان حرب على العصر الحاضر »

وقد أجمع المتأدبون بأدبه والمتذوقون لشعره وحكمه على أن شاعر الإسلام لم يجمع هذه الأفكار الثمينة فى كتاب واحد . ومن خصائص هذا الديوان أن حكيم الإسلام تعرض فيه لانتقاد القاديانيين وغلامهم[1] الكذاب ، فذكرهم غير مرة وكشف الغطاء عن دجلهم وكيدهم للاسلام والمسلمين . وذلك بأسلوبه المعجز المدهش .

(٩) ارمغان حجاز (هدية الحجاز) : عنوان ديوانه الذى ظهر بعد وفاته ، رحمه الله ، (باللغتين الفارسية والاردية) ، وقد سماه هدية الحجاز ، لسبب خاص . وبيان ذلك أنه سافر إلى بلاد أوربا مراراً وزار بعض بلاد العرب أيضاً ، لكنه ما قدر له أن يتشرف بزيارة الحرمين الشريفين، على ما به من تباريح الوجد والشوق إلى زيارة بيت الله الحرام وقبر النبى صلى الله عليه وسلم . وكان من أمنيته أن يتمتع بهما ، وقد وطد العزم على ذلك ، وجعل يقرض أبياتاً ومقطوعات شعرية ، مواجهاً بها بيت الله الحرام ومثوى النبى (صلى الله عليه وسلم) ، فكأنى به كان يعد عدته لذلك السفر الميمون ويهيء الزاد الذى يقدمه إلى عشاق أدبه والمفتتنين بحكمه ، حين قفوله من الزيارة المباركة ، إلا أن مرضه الأخير قد أنهك قواه ، وبقى يتقلب على أحر من الجمر زهاء عامين يتجرع غصص النوى حتى وافاه الأجل المحتوم ، ولما يقض لبانته . وفى أيام المرض العصيبة قد جادت قريحته بأبيات ومقطوعات لا تنسى أبد الدهر . وإن ننس لا ننس البيتين اللذين رثى فيهما نفسه ، وأنبأ الوالهين بأدبه وشعره بدنو أجله :

سرود رفته باز آيد كدنه آيد
نسمى از حجاز آيد كدنه آيد
سر آن روزكار اين فقرى • دكر وانات راز آيد كدنه آيد

ليت شعرى ، هل للنغمة المفقودة من رجعة ؟ ولا أدرى ، هل أجد بعد اليوم نسيم الريح التى تهب من جانب البطحاء ؟ أما هذا الفقير إلى الله فقد آن أوانه ودنا أجله ، فلا يعلم إلا الله ، هل ينبغ فى هذه الأمة حكيم آخر عالم بأسرار الكون ودقائق الأمور ؟

وكذلك قوله على فراش المرض قبل وفاته بأيام :

بيشتى بير أرباب يم آست بيشتى بير پاكان حرم آست
بكوبا مسلم هندى كدخوش باش
بيشتى فى سبيل الله بيم آست

هناك فى الدار الآخرة جنة للذين يجودون بأموالهم ويضحون بذات يدهم ، وجنة للزهاد والنساك المتقطعين إلى ذكر الله .

وقل للمسلم الهندى أن لا يحزن ولا يتألم ، فإن هناك جنة أخرى غيرها ، ألا ، وهى التى ينعم بها على الذين يجاهدون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون .

— ٥ —

آراؤه وأفكاره :

نريد الآن أن نترجم بعض آرائه فى مختلف المسائل من ديوانه (ضرب كليم) ، ليعرف القراء وجهة نظره فى السياسة والدين والأخلاق ، إلا أنه لا يمكن أن يبقى فى الترجمة عشر معشار الروعة والتأثير اللذين امتاز بهما شعره .

الاجتهاد :

أنَّى لأحد أن يتعلم أسرار الدين فى الهند
لأن العمل والأفكار العميقة مفقودة فيها ؛
فلا تجد فى المشتغلين بالعلم والتعليم حرية الفكر والتفكير السديد .
فتبًّا وتعساً للعبودية وعدم التحقيق ؛
لايغيرون أنفسهم فحسبُ ، بل يريدون أن يبدلوا كلام الله
ويحرفوا الكلم عن مواضعه ؛

(١) اسم هذا المتنبيء الذى ظهر فساد دعواه فى الخافقين ، غلام أحمد والقاديانى نسبة إلى قرية « قاديان » التى ولد فيها وتوفى بها

ما أبعد عن الحق هؤلاء الشيوخ والفقهاء وما أضل سبيلهم !
يرى هؤلاء « العبيد » أن كتاب الله ناقص
لأنه لا يرشدهم إلى طريق العبودية .

المسلم الهندي :

يقول المنادك[1] إنه خائن لوطنه
ويرى الانكليز أن المسلم متسول ومتكفف
وشريعة أصحاب[2] النبوة ، تفتى
بأن هذا المسلم « العتيق البالي » كافر
فلا أدرى متى يرتفع صوت الحق ومن أى جهة ؟ وقلبي
حائر قلق أمام هذه الأقوال المتضاربة .

الجهاد :

لقد أفتى الشيخ بأن هذا عصر القلم ، وأما السيف فلم
يبق له اليوم عمل يذكر ؟
ولكني أسائل حضرة الشيخ : أولا يعرف هو أن هذه
الموعظة لا تجدى اليوم بشيء في المساجد ، فأين السيوف والمدافع
بأيدى المسلمين ؟
وإن كانت فالقلوب قد ذهلت عما في الموت من لذة ؟
ومن لى بالذين تجف قلوبهم خشية الموت ؟
حتى لا يرضوا أن يضحوا بنفوسهم تضحية الكفار ؟
من لى بهم أن ينفضوا عنهم غبار الجبن والخمول ؟
ويبذلوا مهجهم وأرواحهم بذل المسلمين المخلصين ؟
وما أحرى الذين يرتعد العالم خوفاً من آلاتهم الجهنمية ،
أن يلقنوا الأمن والسلام ويدعوا إلى ترك « الجهاد » ،
« جهادهم » الباطل .
أو لا ترى أن أوربا قد غرقت في بحار من حديد
للمحافظة على الباطل وجنوده ، واستعداداً للحرب[3]
الضروس القادمة .

ونحن نود أن نسأل الشيخ المتزلف إلى الكنيسة الغربية
والاستعمار الغربي : أليست الحرب شراً في الغرب ، إذا كانت
كذلك في الشرق ؟
وإن كنت تريد الحق ، فهل يليق بك أن تحاسب الإسلام
وتضرب صفحاً عن أعمال أوربا وفظائع مقترفاتها ؟

الإسلام الهندي :

حياة الأمة منوطة بوحدة الأفكار ،
وما الوحي[1] الذى يمزق هذه الوحدة إلا ضلال وخرافة ،
ولا ضمان لهذه الوحدة إلا القوة ؟
أما العقل والحكمة فلا يحركان في هذا الشأن ساكناً ، لأن
المسألة مسألة القوة ؟
ولكنك أيها المسلم ، لست في شيء من تلك القوة ، فاجل
بك أن تلتجيء إلى كهف أو مغارة ، وخير لك أن تجتهد في
إيجاد إسلام[2] آخر ، يدعو إلى الفقر ، والعبودية ، واليأس
الدائم . وما أن الملا ، (الشيخ) قد أبيح له في الهند أن
يركع ويسجد .
يزعم الأبله أن الإسلام حر في هذه الديار (كأنى به
لا يعرف من الدين إلا الركوع والسجود فقط) .

محمد على الباب :

كانت خطبة (الباب) بين يدى العلماء غريبة ؟
كان المسكين يحرف أعراب (السماوات) عن موضعه ؟
وكان العلماء يبتسمون ، ساكتين على خطأه ؟
فأجابهم إنكم لا تعرفون درجاتي العالية ؟
كانت آى القرآن محبوسة في قفص (الاعراب) ؟
والآن حل إسارها لوسيلة (إمامتى) .

(البقية في العدد القادم) **مسعود الندوى**

(١) أريد بالمنادك مشركى الهند من غير المسلمين أما « الهندوس » فالظاهر أنه خطأ شائع ، لأن « الهندوس » (Hindus) جمع « هندو » في الانكليزية بالسين (S) ولعله قد جرى على أقلام كتاب العرب لتلقفهم من اللغات الافرنجية .
(٢) يريد القاديانيين .
(٣) قيلت هذه الكلمة قبل الحرب الأخيرة بأعوام .

(١) إشارة إلى القادياني .
(٢) يريد ديناً آخر غير دين الاسلام الحق الذى دعت إليه الرسل الكرام عليهم السلام من لدن سيد البشر آدم عليه السلام ، إلى خاتمهم وسيدهم ، ومولانا وسيدنا النبى العربى الأمى صلى الله عليه وسلم .

طرائف من العصر المملوكي :

رسالة الدار عن محاورات الفار

أو فن القصة

للأستاذ محمود رزق سليم

بقية ما نشر في العدد الماضي

اتبع كذلك المؤلف طريقة الحريري والهمذاني في ابتداع شخصيتين في القصة ، شخصية راوٍ هو « حسان » ومروى عنه وهو « الحكيم حسيب » الذي أشرنا إليه فيما سبق . فيقول مثلا « قال الراوي حسان . معدن الظرافة والإحسان : فتوجه الحكيم حسيب الأديب الأريب إلى إيراد الأخبار . عن الهداة الأخيار . فحكى أن ملكا من ملوك الأمصار . وسلاطين العجم يدعى « شهريار » ... الخ » . وذلك شبيه بما كان يقوله مثلا أبو القاسم الحريري : حدثنا الحارث بن همام ... ثم يقص قصته عن أبي زيد السروجي .

وقد توخى المؤلف في كتابه ، مفاكهة الناس على اختلاف درجاتهم وتباين مشاربهم ، من الحديث المشوق الذي يجذبهم إلى سبل الخير . وأسلوبه وإن كان مزدحما بالبديع وبخاصة السجع ، لأنه من المولعين به ، من الحق علينا أن ننصفه ، وأن نذكر أنه أخف مئونة من أسلوب المقامات العباسية حين بلغت أوجها على يد الهمذاني والحريري . وهو أكثر حكمة وأوفى مثالا وأدق تعبيراً وأكثر تحليلا لخفايا النفوس ، وإظهاراً لهواجسها . فلم يقتصر على الأوصاف الحسية بل حلل وتعمق وأمعن ودقق . فليست البراعة الأسلوبية رائده الأول أو دافعه الأكبر على تدبيج قصصه وتأليف كتابه . وبهذا كله يفترق عن كتاب المقامات .

أما المقامات فقد عرفناها منذ عصر بني العباس ، قصصاً وصفية يعنى فيها بإظهار البراعة في الصناعة البديعية . وقد اتجه من أدباء العصر المملوكي إلى إجادة هذا الفن من القول . وقد تعددت موضوعاتها واتسع نطاق الوصف فيها ، وخرجت من سمت الاستجداء ، واستوت المقامات فأصبحت في مقدمة الأغراض الكتابية في العصر المذكور ، ومظهراً من مظاهر الصناعة البديعية ، مع قلة تعسف ، وخفة مئونة . وقد قرأت أربع مقامات لزين الدين بن الوردي (٧٤٨ هـ) التزم في أولها أن يقول : « حدث إنسان . من معرة النعمان » أو نحو ذلك . ولعله يقصد بالإنسان نفسه ، وأولى هذه المقامات « المقامة الصوفية » وقد صور لنا فيها رجلا لقي عشرة رجال كانوا يتجادلون في أمر الصوفية فطفق الرجل يشرح لهم ما خفي عنهم من أمور الصوفية وأسرارهم وشروطهم وما إلى ذلك . فكأنما هي درس تعليمي لا قصة كما نفهم القصة في العصر الحديث . وضمن منثوره شيئاً من النظم المناسب المقام . وفي مقامته الثانية « الأنطاكية » حدث عن مدينة أنطاكية وما فيها من مظاهر طبيعية جميلة ، وقد لقي فيها واليها ، فجلس إليه ، وأخذ الوالي يبثه شكواه من البعيضة الضاربة الرواق بين عجم المدينة وعربها . وخلل نثرها على عادته بأبيات عدة . ومن وصفه فيها قوله عن المدينة : « سورها منيع ، وعاصيها مطيع . وأطيارها تحن إلى نغماتها الجوارح . وأنهارها مطردة وعيونها سوارح . ونسيمها يبطل رائحة المسك السحيق . وساكنها يزهى على الغصن الوريق . يصدأ بهوائها السلاح ، وتجلى به القلوب والأرواح . برية بحرية . سهلية جبلية . منثورها منثورها :

متكامل فيها السرور لمن بها   يوماً أقام كما تكامل سورها
وخلت قلوب قصورها فاستضحكت   إذ عاش شاكرها ومات كفورها » ... الخ

وأنت ترى أن هذه مقامة وصفية . وعلى هذا النسق تقريباً جرى في مقامتيه الأخريين « المنبجية » و « الشهدية » . وله مقامة أخرى تعرف « بصفو الرحيق في وصف الحريق » بدأها بقوله « حدث غيث بن سحاب عن ندى بن بحر » واشتملت على وصف حريق شب في مدينة دمشق .

ومن كتاب المقامات صلاح الدين الصفدي (٧٥٤ هـ) وله مقامة وصف حريق أيضا . ويبدو من سياق حديثه فيها أنه نفس الحريق الذي وصفه ابن الوردي في مقامته .

ولتقي الدين بن حجة الحموي (٨٣٧ هـ) مقامة عارض بها المقامة الزوراثية للحريري . وللشاب الظريف (٦٨٨ هـ) مقامة

وصف بها شاباً برح به الغرام . ولشرف الدين بن أسد المصرى (٧٣٨ هـ) مقامة فكاهية روى فيها حكاية أحد النحاة مع أحد الأساكفة ...

ومن فرسان المقامات جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) الذى ضرب فى كل فن بسهم . وله عدد ضخم من المقامات فمنها «بلبل الروضة» وصف فيها جزيرة الروضة . والمقامة «الوردية» وهى قصة تمثيلية أبطالها الأزهار ! فقد افترض الكاتب أن الأزهار اجتمعت عساكرها وعقدت مجلساً حافلا للجدل والمناظرة لاختيار أحقها بالملك فصعد كل منها المنبر وحاور وجادل . فتحدث الورد أولا ثم النرجس فالياسمين فالبان فالنسرين فالبنفسج فالنيلوفر فالريحان ، ورشح كل منها نفسه وزكاها ببيان أوصافها وذكر مزاياها ... ثم أسلم الجميع للريحان وخضعوا لسلطانه .

وعلى نمط مقامته الوردية دبج عدة مقامات أخرى وصف فيها أنواعاً من الثمار أو الأحجار الكريمة أو نحو ذلك مثل المقامة «المسكية» و «التفاحة» .

ومن أطرف مقامات السيوطى مقامته «رشف الزلال من السحر الحلال» وتسمى أيضاً «مقامة النساء» وقد وصف فيها عشرون عالماً فى فنون مختلفة — ما بين نحوى ومفسر وفقيه وأصولى ... الخ — ما جرى لكل منهم بينه وبين عرسه ليلة دخوله ... وورى كل منهم فى حديثه بمصطلحات علمه وفنه ...

وعلى نمط المقامات تعددت وتنوعت مظاهر القصة الأخرى من رسائل ومحاورات وموازنات ومفاخرات كالموازنة بين النار والتراب ، والمفاخرة بين السيف والقلم .

أما سير الأبطال وتراجم الرجال فما أكثرها فى هذا العصر وما أجلها وأعظم شأنها ، غير أنها أقرب إلى النزعة التاريخية منها إلى النزعة الأدبية . ومن بينها موسوعات ضخمة ، ومن بينها تراجم فردية مستقلة . ومن أمثلة الأخيرة وهى التى تقص سيرة رجل واحد ، كتاب «عجائب المقدور فى أخبار تيمور» لشهاب الدين بن عربشاه (٨٥٤ هـ) الذى أشرنا إليه من قبل . و «التأليف الطاهر فى شيم الملك الظاهر» وهى سيرة السلطان جقمق كتبها ابن عربشاه أيضاً . وكتاب «تاريخ الناصر بن قلاوون» لمؤلفه شمس الدين الشجاعى و «ترجمة الأوزاعى» لابن حجر العسقلانى (٨٥٤ هـ) و «سيرة نور الدين زنكى» لبدر الدين بن الشهيد الدمشقى كتبه عام (٨٧٤ هـ) . وغير هذه المؤلفات كثير .

وقبل أن نختتم هذا المقال نحب أن ننوه بشيئين هما من القصة بسبيل : أحدهما الشعر القصصى ، والثانى الشعر التمثيلى وهما من الأدب العربى — إلى عهد قريب — نادران . ومن العجيب أن ترى فى العصر المملوكى نشاطاً من القراء فى ميدان القص ، وقد نوهنا فى مقالتنا عن «البردة» عن مجهود أصحاب البديعيات ، وعن أدباء البردة الذين عارضوها ، ومنظوماتهم عبارة عن قصة الرسول عليه الصلاة والسلام . وللشعراء فى غيرها جهود محمودة ، فمن منظوماتهم «سيرة بيبرس» لمحيى الدين بن عبد الظاهر (٦٩٢ هـ) و «سيرة برسباى» لبهاء الدين الباعونى (٩١٠ هـ) وهى أرجوزة فى ٥٥٧ بيتاً . والجوهرة فى سيرة المؤيد شيخ نظمها بدر الدين العينى (٨٥٥ هـ) . والعجيب أن ترى هذه النزعة القصصية لدى الزجالين ، وقد نوهنا بذلك فى مقالنا عن الزجل والزجالين وأشرنا إلى جهود القيم خلف الغبارى ، والقيم بدر الدين الزيتونى ...

أما الشعر التمثيلى فليس له وجود بالمعنى الذى نفهمه فى العصر الحديث أو عنه فى العصور القديمة فى الآداب الأجنبية . غير أن بعض أدبائنا عثروا عن كتاب «طيف الخيال» لمؤلفه الشاعر الناثر الماجن الطبيب شمس الدين بن دانيال الموصلى (٧١٠ هـ) الذى كان يعيش بالقاهرة ، وقد تصفحنا هذا الكتاب فى دار الكتب المصرية . وهو مطبوع فى أوربا وبه مقدمات مكتوبة بالألمانية . ولعل المطبوع منه قسم من المؤلف الأصيل . ونستطيع القول إنه عبارة عن مقامة تمثيلية طويلة يصف فيها المؤلف لعبة «خيال الظل» . وينطق فيها أبطال التمثيل على مسرح أمام النظارة ، خلف ستار يضاء بالشمع . أما الأبطال فشخوص متعددة منها ما يمثل آدميين ، وما يمثل حيوانات . ومن الآدميين : الريس ، وطيف الخيال وهو شخص أحدب ، وحويش الحاوى ، وعسيله الماجيقى ، ونباتة المشاب ... الخ

أبو خليـــــل القبانى
باعث نهضتنا الفنية

للاستاذ حسنى كنعان

— ٢ —

شاع فى الفيحاء ما بين سمار الأندية ورواد المجالس ، أن الفتى الشاغورى نابغة بنى أقبيق قد أقصاه شيوخه عن دروس المسجد الأموى ، وطرده والده من داره لنزعته الوسيقية والتمثيلية لئلا تـكون هذه الأسرة المرموقة المنظور إليها فى حى الشاغور المحافظ على تقاليده وعاداته غرضاً للنقد والغميزة المضة .

وانتشر ذلك كسرعة البرق بين رواد الحلقات ، فأسف على حرمانه من الدرس أناس وفرح آخرون ، أسف الذين كانوا يرقبون له مستقبلا لامعاً من إنصرافه إلى العلم ، وفرح الذين كانوا ينفسون عليه نبوغه ، ويعدون وجوده بينهم حائلا دون ظهورهم ، وكان من أشد الناس أسفاً على حاله ، خاله أبو أسعد النشواتى . فأدناه من مجالسه ، وكفل معيشته ، وجمله وكيلا عنه فى قاعة النشا ، ولما ارتاش وانتعشت حالته المادية عند خاله بدا له أن يستقل فى عمله ، فاشترى من وفره « قبانا » واستأجر محلا فى سوق البذورية وهو من أشهر أسواق دمشق التجارية ، وجعل يتـكسب من هذه الصناعة ، وأمسى يكنى بالقبانى ، فتغلبت هذه الـكنية ، فيا بعد على أسرته وغدا يطلق عليها أسرة القبانى ، وكان خاله يعتقد أن إزالة صخرة كبيرة من مكانها أهون عليه من إزالة هذه النجيزة المتأصلة فى نفس هذا الفتى النـابغ العجيب . ومما جعله يعطف عليه هذا العطف كله أن أبصره أكثر من مرة يجمع حوله فى مقام الحسين فى القسم الخارجى من الأموى جماعة المؤذنين والمذكرين ، وأبطال المراسلات فى آذان الفجر وفى الأسحار فى ليالى رمضان ، فيعلمهم الأذان والمراسلات من نغمة الصبا ، والحجاز ، والجهاركاه ، والسيكا ، وكانوا لا يعرفون سوى نغمتى الراست والبياتى ، وكان ذلك وهو فى الثانية عشرة من سنى حياته ، وكان صوته على مأذنة عيسى القائمة فى جانب من جوانب المسجد الأموى يفتن السامعين وقت السحر وهو فى هذه السن ويجعلهم فى حيرة من أمره وذهول . وإلى هذه المواهب التى لا ينضب معينها ، نراه منصرفاً إلى العلم والتجارة والـكسب ، حيث لا تمر عليه ساعة من نهار دون أن يفيد منها .

وكثيراً ما كان يرى فى أوقات الفراغ ممسكا بيده مطرقة من حديد يطرق بها جانب قبانه طرقات موقعة على الأوزان الوسيقية ينشد الوشحات والأهازيج على حسب الإيقاع إنشاداً يفتن به الألباب ويخلب عقول أهل السوق ، فيتـكونون حوله يرقصون كأنهم سكارى لعبت إبنة الحان بعقولهم ، فيصفقون ويستديرون على أنفسهم بدون شعور من شدة النشوة والطرب ، مما جمت هذه المواهب القلوب على محبته وجلبت إليه الرزق فذاع إسمه فى المدينة وتحدث عنه الخاص من أبنائها والعام .

وكانت تقـام له حفلات السمر لدى محبه وعاشق فنه فى كبريات الدور ، يعقد فيها ومحبه المحاورات والروايات الساذجة

ومن الحيوانات . الأسد والدب ... الخ . ولكل من هؤلاء جميعاً دور يؤديه وحديث يلقيه . يتقدم فيحدث ويحدث ويحاور ثم يتوارى ويترك الميدان لغيره ، وهكذا دواليك . ويتخلل الحوار المنثور أبيات وأغانى وأناشيد عدة . والقطعة المطبوعة من طيف الخيال تتألف من جملة فصول أو مناظر ، لـكل منها حديث وحوار . واعتقادنا أن ما أورده ابن دنيال فى طيف خياله هذا ، ما هو إلا نمط من أنماط عدة كثيرة ، ورواية من روايات مختلفة كانت تمثل بين الناس فى تلك العصور الخالية للهو والتسلية والعظة والاعتبار؛ فالـكتاب على ما فيه من مجون وفـكاهة فيه أيضاً مثل وحكمة . وعلى أية حالة فهو يومى إلى أن التمثيـل المسرحى والرواية التمثيلية والسمر التمثيلى كانت كلها تدور فى مخيلات القوم فى ذاك الزمن السحيق ، ولو إلى حد ما .

ولا يتسع حديث واحد كحديثنا اليوم لاستيعاب القول عن مظاهر القصة فى العصر المملوكى . فـكل مظهر منها يحتاج إلى دراسة ، فلعلنا — أو لعل غيرنا — يعود إليها فى فرصة أخرى .

محمود رزق سليم
مدرس بكلية اللغة العربية

المؤلفة من أربعة أشخاص أو خمسة ، تمرض فيها فصولا بالمفاضلة ما بين الكسلان والمجتهد ، والتاجر والعامل ، والعالم والجاهل ، ولما طال الأمد عليه وهو يدب فى هذه الصناعة دبيب الطفل الزاحف الذى يحبو على يديه ورجليه ويتحفز للوثوب خطر بباله أن يأخذ دور عنترة ويجعل دور عبلة لصديق من أصدقائه مقلداً فى ذلك أستاذه الأول على حبيب الذى كان يتخذ من الصور الخيالية أشخاصاً فيكلمهم خلف الشاشة ويحاورهم ويداورهم كما مر معنا فى البحث الماضى ، فنجح فى هذا الباب نجاحاً كتب له فيه الظفر ، وفاق فيه أستاذه . إذ أن ذاك كان يحاور صوراً خيالية ، وهذا يحاور ويمثل مع أشخاص حقيقيين .

وفى عهد ولاية المرحوم الوالى « صبحى باشا » حضرت إلى دمشق من فرنسا فرقة تمثيلية ومثلت فى مدرسة « العازارية » روايات إجتماعية وأخلاقية فى باب توما ، وهى أقدم مدرسة لدينا كانت تقوم ولا تزال قائمة حتى الآن بتعليم اللغة الفرنسية ، وكان القبانى قد شهد هذه الروايات جميعها وأخذ فكرة عن المسرح والتمثيل والممثلين وتوزيع الأدوار « والمكياج » ، فتمم بذلك ما كان ينقصه من فكرة التمثيل والمسرح ، وأمسى أكبر همه أن يؤسس فى دمشق مسرحاً ، ويؤلف فرقة ، بيد أن الذى عاقه عن المضى فى سبيله ، قضية ظهور الفتيات على المسرح ، وما يمتور هذه الفكرة من طرق شائكة وصعاب وعقبات .

فالمرأة التى كانت حبيسة بيتها ، وكان لا يسمح لها فى الخروج منه سوى مرة واحدة فى العمر تلك هى المرة التى تخرج فيها من البيت مزفوفة إلى بيت بعلها ، ومرة واحدة بعد الموت ، تلك هى المرة التى تخرج فيها محمولة على الأعناق إلى مقرها الأخير ... فكيف تستطيع أن تظهر على المسرح وحالتها حالتها ، ومحبسها محبسها ، إن دون ذلك خرط القتاد وإراقة الدماء وإسالة النفوس .

بقى القبانى يفكر فى تذليل هذه العقبة وتسهيلها مدة من الزمن حتى بدا له أن يمضى فى طريقه غير وجل ولا هياب ، ويستعيض بدلا عن النسوة الفتيان « المرانق » ذوى الشارات الحسنة والمياسم المغرية . ولما شرع فى عمله ، ورأى الإقبال عليه والتشجيع والتنشيط من كل صوب وناحية وأصبح العارضون أنفسهم عليه من الفنانين أصحاب المواهب ومن الفتيان ما يفيض عن الحد المطلوب طار من إهابه فرحاً ، لا سيما وأكثرهم عرض نفسه عليه بدون أجرة تشوقاً ولذاذة ، فألف على الفور فرقة تمثيلية كانت تمثل الروايات فى بدء عهدها ، فى البيوت والقاعات الخاصة ، فذاع خبر هذه الروايات فى الشام حتى بلغت مسامع « الوالى » التركى « صبحى باشا » ، وكان ممن يقدرون الفن والمواهب ، فحضر بنفسه تمثيل رواية من الروايات فى حفلة أقيمت على شرفه بصورة خاصة فى بيت ثرى من أثرياء الشام وهم كثر فى ذلك العهد ، فدهش مما سمع ورأى ، وهام بحب أحمد كل الهيام وأدناه من مجالسه ، وجعله موضع عنايته ، فصار شفيعاً ووسيطاً ما بين الحاكم والرعية ، ما من أحد عرضت له مهمة لدى الوالى وقصد أحمد بها إلا قضاها له .

رأى الباشا فى هذا النابغ الدمشقى الشروط المتوفرة للقضاء على الجمود الفكرى فى الشام وتهذيب النفوس الجامحة بواسطة التمثيل والموسيقى ، فأوعز إليه أن يؤلف جوقة ويقيم مسرحاً فى المكان الذى يختاره .

ولقد رمى الوالى بهذه الفعلة إلى غاية سياسية الجلة تلك أهمية صرف الشعب المتوثب عن الحياة الطليقة التى كان أوجد نواتها فى البلاد قادة الثورة الفكرية الشيخين المصلحين الإمامين جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

فتم له بذلك ما أراد ، وكان إقبال الشعب على مشاهدة روايات القبانى يفوق حد الوصف ويشب عن الطوق ، فأقام مسرحه فى خان من خانات البذورية ، وأول رواية عرضها على الجماهير الحاشدة رواية ناكر الجميل ، فأحرزت شهرة فائقة ونالت نجاحاً عظيما فى الأوساط ، ثم اتبعها برواية وضاح فلم يكن إفتتان الناس بهذه الرواية أقل من افتتانهم بسابقتها ، وهكذا دواليك أخذ هذا النابغة الموهوب يتدرج بفنه من حسن إلى أحسن ومن جيد إلى أجود ، حتى طارت شهرته فى جميع الأنحاء السورية ، وتخطتها إلى الأقطار المجاورة ، فصار حديث القبانى الممثل المطرب والمنشد البارع والملحن الأوحد مالىء دنيا الشام وشاغل أهلها .

ولما أقبلت عليه الدنيا إقبال الأتى المنهمر ، وبسم له الدهر وصلحت حاله ، أخذ محلا فى « خان الكمرك » فى المصرونية بالقرب من المدرسة العادلية ، وأقام مسرحه هناك فى منتصف المدينة . وهنا استفاض الحديث فى المنازل والمجالس عن عظيم مواهبه وسحر فنه ، وكثر رواد مسرحه ، وعشاق موسيقاه ، وتمثيل رواياته ، فلا حديث فى المدينة إلا حديثه ، ولا ذكر إلا ذكره ...

وكان كلما تدفقت عليه الأموال ينفقها فى سبيل تحسين مسرحه وجلب الحاجات الفنية الغامضة إليه ، ففتن الناس وخلب عقولهم حتى بلغ من شأن الإهتمام برواياته أن صار الفقير منهم الذى لا يملك ثمن بطاقة الدخول يبيع فراشه وأوانى بيته وحلى زوجته ليشاهدها ويجتلى طلعته فيها ، وكان لشدة الإزدحام يؤم الواحد منهم القاعة من الصباح ويبق فيها حتى المساء ليشاهد الرواية ، فإذا ما انقضت اللذة بمشاهدة رواية تولدت شهوة ولذة بمشاهدة غيرها . ومن شدة الإزدحام على أبواب القاعة المقام فيها المسرح أسس الدخول إليها لا يكون إلا تحت إشراف السلطات المحلية ، وصارت تباع التذاكر لدى مكاتب المتعهدين قبل ثلاثة أيام ، ومن يتأخر عن حجز مكان له فى أسبوع قبل ثلاثة أيام أو أربعة أيام يضطر مكرها للحظوة بمشاهدة هذه الروايات فى الأسبوع الذى يليه .

وكان للوالى فى قاعة المسرح مقصورة يقصدها كل ليلة ويمتع سمعه وبصره بهذا الفن الأخاذ بالرغم من جهله اللغة العربية التى يمثل فيها القبانى رواياته .

ومن عادة الدهر ألا يبقى على حالة واحدة ، وأنه إذا ضحك لإنسان يوماً ما سيتجهم له إذا دالت دولته وولى زمانه وشالت نعامته ، وخانه صحبه وأوطانه ، وقديماً قال الشاعر : « من سره زمن ساءته أزمان ... »

حسنى كنعان

(للبحث صلة)

الضمير العـــالمى

للأستاذ عبد الرحيم عثمان صارو

طالت على الأيام رقدته … وخلا من الوجدان والمهج
فمتى ترى تفـــتر مقلته … وتقرُّ عين العالم اللاهج ؟

غمات من الإغفاء عيناه … أم ذاب تحت جفونه البصر ؟
ياليت شعرى أين مثواه … بين الجوانح أيها البشر ؟ !

تصحو المظالم إن جرى الوسن … فى مقلتيه ويمحى العـــدل
وإذا تنبـــه نامت الفتن … بين الورى واستأمن الـكل

فيم « الجامع » أيها الناس : … قـول يسر ومنطق عجب ؟
و « موائق » يتعجب الناس … من حسنها والدر والذهب

فيم « الجـامع » راح ينهزم … حق بهـــا ويعز بهتان
لو صحت النيـــات والذمم … لم يشق تحت الشمس إنسان

لو لم تك الأهواء رائدكم … يا من ملـكتم قبضة الـكون
ما احتاج حق أن يناشدكم … — عبثاً — له قبساً من العون

لو لم تك الأهواء غالبـة … ومطامع تعـدو وتستبق
لم تخذلوا للعرب واضحـــة … غراء مثـــل الشمس تأتلق

تـــاه السلام وحار بينكم … ويـــكاد يقضى نحبه طفلا
تتمشدقون به وفعلكم … يردى السلام ويورث القتلا

أوقدتموها بيننا شـــعلا … حتى قهرتم طاغياً حرنـــا
ومن العجائب : كل ما فعلا … معـكم فعلتم شبهه معنـــا

سيظل بين جوانب الأرض … تمس الوجوه وضيمة الأمل
ما ثمت على جوانح البعض … أسطورة الذئب والحمـــل

عبد الرحيم عثمان صارو

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

اليونسكو في بيروت :

ينعقد الآن في بيروت المؤتمر العام الثالث لهيئة «اليونسكو» وقد افتتح يوم ١٧ نوفمبر الحالي بكلمة لرئيس الجمهورية اللبنانية موضوعها «القيم الروحية والقوة الهوجاء» وقد تتابعت الجلسات في الأيام الخمسة الماضية إلى وقت كتابة هذا، وحفلت هذه الجلسات بكلمات من المندوبين وتلاوة التقرير السنوي للهيئة الذي وضعه المدير العام، وقد أثيرت مسائل مختلفة في الاجتماعات الماضية، أهمها موضوع تمثيل الهيئات اليهودية الذي أعلنت لبنان رفضه وأيده سائر البلاد العربية، ولكن مندوبين غربيين قالوا إن المؤتمر الثقافي هيئة إنسانية لا طائفية ولا عنصرية ودعوا إلى التسامح بقبول ممثلي الدولة المزيفة في المؤتمر، فرد بعض المندوبين العرب بأن البلاد العربية ترفض لا لسبب عنصري أو طائفي بل لمعارضتها السياسية في قيام دولة يهودية. وبعد نقاش حاد قرر المؤتمر أن تمثل الهيئات الدولية غير الحكومية بمراقبين لا حق لهم في الاقتراع. وقال مذياع بيروت إن الأستاذ يوسف خاطر مندوب لبنان قام بعمل بارع إذ اقترح أن يقصر تطبيق ذلك على الهيئات التي أرسل إليها فعلا وأجابت بالموافقة، فأيد المؤتمر هذا الاقتراح وعلى هـذا ينطبق ذلك القرار على ٢٠٦ هيئة ليس بينها هيئة صهيونية ...

ومن المسائل التي أثيرت مسألة تعليم الشبان الفلسطينيين اللاجئين إذ اقترح مندوب استراليا أن تقوم اليونسكو والدول الأعضاء فيها ببذل المعونة في ذلك، وقد شكره شفيق غربال بك مندوب مصر، ثم أعلن الرئيس الموافقة على الاقتراح فأحيل إلى لجنة التعمير الفرعية لدراسته.

ويعمل مذياع بيروت في المكان المخصص له بمدينة اليونسكو، فيذيع أهم ما يدور في الجلسات، كما يسجل كلمات المندوبين ويذيعها، وقد سمعت منه كلمة شفيق بك غربال ومما تضمنته الإشارة إلى بعض المسائل التي يتم الاتفاق عليها خارج اليونسكو وهي أولى ببحثها وتنظيمها كمسألة موجات الإذاعة التي وزعت بطريقة غير عادلة.

وقال مذياع بيروت في التعقيب على اجتماعات اليونسكو : إن هذا المؤتمر العالمي يجتمع بلبنان في جو سمح حر بعيد عما يلابس المؤتمرات العالمية من محاولة البلاد التي تجتمع بها التأثير في مجرى أعمالها لتوافق هواها.

وقد لوحظ في تأليف وفد مصر إلى المؤتمر أنه يشمل إلى جانب الأعضاء الرسميين بعض الخبراء غير الرسميين كالدكتور بشر فارس وقد دعت حكومة لبنان الدكتور طه حسين بك إلى حضور المؤتمر بصفة شخصية، على أن يكون ضيفاً لديها، فلبى الدعوة ويسافر من القاهرة إلى بيروت في ٢٥ نوفمبر، ويلقي هناك محاضرة عن الحضارة العربية وما أسدت الحضارة الغربية.

تعقيب :

يخيل إلى من يستمع أو يقرأ ما يجري في اجتماعات اليونسكو أن البحر قد أصبح (طحينة) كما تقول في أمثالنا العامية، فنشر الفكر وحرية الأنباء وإنماء الثقافات وتعاونها على إقرار السلام يتحدث عنها أولئك المفكرون الأفذاذ من مندوبي العالم وهم مستغرقون في الخيال ... والمسألة كيف ينتقل ذلك كله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة أو كيف يمكن نقل هذه الأشياء إلى مجال العمل والتنفيذ ؟ ثم كيف يوجهون التيارات الثقافية إلى صالح السلام ونصف القوة العالمية غير ممثل في اليونسكو، وهو روسيا ؟ وسينفض هذا المؤتمر الثالث، ونرجو عند اجتماع المؤتمر الرابع أن يكون العالم بخير ...

صديقنا الزين يتراءى لنا :

كتبت في عدد مضى من الرسالة منذ قليل، كلمة في ذكرى الصديق الكريم والفقيد المظلوم الشاعر الراوية أحمد الزين ؛ وما أحب إلى أن أعود الآن إلى الحديث عنه في التعبير عن خاطرة

تتعلق به ، وهو جدير بأن تؤلف فى أدبه وشخصيته المؤلفات ، فلا أقل من كلمات .

قلت إن اللقاء لم ينقطع بين الصديق الفقيد وبينى على رغم وفاته ، ألقاه فى كل مكان صاحبته فيه وعند كل ما يذكرنى به . إلى آخر ما عبرت به عن هذا الإحساس . ثم كتب بعد ذلك فى مجلة « الثقافة » الأستاذ عبد الفتاح البارودى كلمة طيبة فى ذكرى الزين ، فلم يكن من الغريب ، وهو من أصدقاء الشاعر الفقيد ، أن نتفق فى الإحساس نحو صديقنا الراحل ، قال : إن « طيفه الرقيق الوديع لما يبرح مخيلتى إلا ليعود إليها » ثم بنى مقاله على رؤيا رآه فيها .

ومنذ بضعة شهور رأى الأستاذ محمود لطفى أمين مكتبة المجمع اللغوى ، وهو أيضاً من أصدقاء الزين — رأى فيما يرى النائم أنه يقف بأسفل سلم ، والزين على إحدى درجات هذا السلم ، وبينهما ست درجات . وقال العالم بتأويل الأحلام : إنك لا تزال فى الدنيا ، وقد صعد الزين منها ، وتلحق به بعد ستة أيام أو ستة أشهر أو ستة أعوام ... فانزعج صديقنا لطفى وأخذ فى الحساب ... الستة الأيام مضت ، والستة الشهور يبقى منها نصف شهر ... وأعد عدته وجد فى تحسين خاتمته ، ولكن الله سلم ؛ فهل كسب الصديق فى عمره ستة أعوام ...؟

وليس بعجيب أن يتراءى لنا صديقنا الخالد ، فى المنام وفى غفوات اليقظة ، فقد كان صافى النفس ، خالص الوجدان والفكر مما يصطنعه الناس من الرياء والنفاق ، لا يعلق قلبه بما تعلق به أحابيل المرائين والمنافقين من غايات . وكان روحه ينسرب فى نفوس أصدقائه خلال حديثه إليهم لصدقه وصراحته ونظرته إلى الأمور نظرة إنسانية عالية .

وكان يبدى رأيه فى الأشخاص صريحاً ، وكان يرغب عن مصانعة من يتنازل بعض الناس عن حريته فى مصانعتهم ، ضناً بأدبه أو كرامته أن يكون لها ثمن من حطام أو سراب ... مما جر عليه حقد أولئك الناس وجحودهم قدره ، وكان حرياً بكل تقدير وإعزاز .

ذلك هو الإنسان الذى يتراءى لناطيفه ، لأنه خالد فى نفوسنا وما أسعدنا به حياً وميتاً .

الشعب ينفق على تلهية الأغنياء :

جاء فى مقال للدكتور طه حسين بك فى « الأهرام » قوله : « فكان من الديمقراطية مثلا ، فى أواسط القرن الخامس قبل المسيح ، أن يفرض على الأغنياء تلهية الشعب بتنظيم حفلات التمثيل على اختلافها ، فكان الأغنياء وحدهم هم الذين ينفقون على إعداد القصة التمثيلية وإخراجها ، يأجرون الشاعر الذى ينشئها ، ويأجرون الممثلين الذين يعرضونها ، ويأجرون الذين يشرفون على هـذا الإخراج ، ويؤدون كل ما يحتاج إليه الموسم التمثيلى من نفقات » .

كان ذلك فى أوربا منذ خمسة وعشرين قرناً ، أما الآن فالأمر عندنا فى مصر على عكس ذلك ، أى أن الشعب هو الذى ينفق على تلهية الأغنياء ...

الحكومة تمنح الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى نحو خمسة عشر ألف جنيه فى العام ، وتنفق على استقدام فرق التمثيل الأجنبية مالا يقل عن ذلك المبلغ ، ولا أعرف بالضبط ما تنفقه على دار الأوبرا الملكية ، ولكنا نعلم أنها دار فخمة لها مدير ووكيل وفيها موظفون فنيون وإداريون وسماة وفراشون وما إلى ذلك ، عدا مرافقها المختلفة وما يتطلبه إعداد الروايات من أثاث وثياب ورسم مناظر وغير ذلك ، فلا بد أن لها « ميزانية » كبيرة . وهناك أيضاً لجنة ترقية التمثيل ، وجوائز مالية تمنح فى مباريات التأليف للمسرح .

وكل ذلك يصرف من خزانة الدولة التى تتكون من الضرائب التى يدفعها الشعب على اختلاف طبقاته ، ويقصد منه إحياء فن التمثيل وتحقيق المتعة والفائدة ، ولكن من يستمع ويستفيد ؟ الأغنياء طبعاً لأنهم هم القادرون على « دفع ثمن التذاكر » أما الفقراء ومن يليهم من المتوسطين فحسبهم النظر إلى الإعلانات وصور الممثلين والممثلات فى الصحف وعلى الجدران ، لقاء ما ساهموا به من الإنفاق على التمثيل باعتبارهم « دافعى ضرائب » .

أليس معنى ذلك أن الأغنياء يشاهدون التمثيل على نفقة الفقراء ؟

ولعل ذلك بعض الجواب عن تساؤل الدكتور طه : أين نحن الآن من معنى الديمقراطية

كثرة التأليف من علامات الساعة:

هكذا يقول أثر من الآثار المصرية القديمة يرجع عهده إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، إذ وجد منقوشاً على حجر من هذه الآثار أن « من علامات الساعة أننا صرنا إلى زمن لا يتورع فيه كل من هب ودب عن التطلع إلى التأليف والتصنيف » .

وإذا كان الكاتب القديم في ذلك الزمن السحيق يقول ذلك فماذا نقول نحن الآن وقد صار كل إنسان يستطيع أن يكون مؤلفاً ما دام يملك نفقات الطبع ويستطيع أن يؤلف أي كلام .. حتى انصرف الناس عن قراءة الكتب ، وأصبح الكتاب في أزمة شديدة بفضل « المؤلفين » الذين كان يمكن أن ينتفع بهم في إنتاج سلع أخرى ؟

فإن كان قدماؤنا قد هالهم ما رأوا من إقبال غير الأكفاء على التأليف حتى عدوه من علامات الساعة ، فيظهر أنا وقعنا ، مما نرى من فوضى التأليف ، في «الساعة» نفسها ! والله المستعان .

من طرف المجالس :

كان الحديث عن هؤلاء « القصاصين » الذين يوالون الإنتاج بسرعة عجيبة ، حتى ملأوا الصحف وأخرجوا العديد من مجموعات القصص والأقاصيص . سأل أحد الجلساء : كيف يتسنى لكاتب أن ينشىء في أسبوع واحد عدة قصص ، عاش في أجوائها وهضم فكرتها واستوت له عقدها و ... فقطعت عليه الإجابات سبيل استرساله ، قال الأول : رويدك ! رويدك ! أي أجواء وأية عقد ؟ إنها حكايات و (حواديت) يجتذبون القراء إليها بسرد وقائع الشباب الفائر وعرض الأنوثة الصارخة !

وقال الثاني : بارك الله في قصص الغرب . فما على الواحد منهم إلا أن يجرد القصة من القيمة ثم يضع عليها الطربوش أو العمامة ومع ذلك تبدو عليها ملامح السحنة الغربية .

وقال الثالث : ولكن هناك كثيراً من هذه القصص تكتب غربية بحوادثها وأشخاصها وأماكنها وليس على القصة إلا اسم أخينا المصري ، وما أحسبه يدعي تأليفها ، فممن ترجمها أواقتبسها أولخصها ؟ الواقع أن هذا النوع من ... التأليف ... أو من الترجمة أو مما لا أدري اسمه — قد حيرني !

وأمسك الجميع حين رأوا ذلك الأديب الكبير الذي يتصدر المجلس — متهلل الوجه تدل هيئته على أن عنده شيئاً طريفاً في الموضوع ، قال :

تلقيت من فلان المجموعة القصصية التي أصدرها أخيراً ، وقد أرفقها برسالة يرجو فيها « عدم المؤاخذة » لما في الكتاب من أخطاء نحوية ولغوية سببها أنه طبع في بلد بعيد فلم يستطع مباشرة التصحيح ... فعجبت لهذه المطبعة التي تعصي الفيروزابادي وتخالف أوامر سيبويه ! ولكن عجبي ذهب عند ما رأيت قوله « لعلكم تتفضلون بتشجيع الخطوات التي يخطوها (الناشئين) وتذليل ما (يجدوا) من صعوبات »

ثم ظهرت على فم أديبنا الكبير ابتسامة ساخرة وقال : وقد هان علي الخطب لأني اطمأننت على الطباعة !

الجامعة والمعاهد العالية :

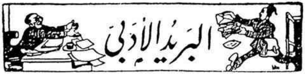
جاء في الجزء الخاص بالتعليم من خطاب العرش ما يلي : « وتعتزم حكومتي إنشاء مجلس موحد لمعاهد التعليم الفني العالي ، يكفل القيام على شؤونها المشتركة ، لما تبين من صواب قيام هذه المعاهد بجانب الكليات الجامعية ، لغلبة الصبغة العملية عليها ، ولتمكين طائفة غير قليلة ممن أتموا التعليم الثانوي من إتمام التعليم العالي بها » .

وقد نشرت الصحف أحاديث لمدير جامعة فؤاد الأول ، يشكو فيها من تضخم الجامعة لكثرة من قبلتهم من الطلبة في هذا العام ، وهم مع هذا ليسوا كل المتقدمين إليها من الناجحين في « التوجيهية » وقد بين سعادته ضرر زحمة الطلاب بالجامعة ؛ من حيث صعوبة إشراف الأساتذة والمدرسين على العدد الكبير من الطلبة واستحالة قيام العلاقة المرجوة بين الطالب والأستاذ .

والواقع أن الإقبال اشتد على التعليم العالي في السنوات الأخيرة ، وليس كل المقبلين راغبين في التعلم ذاته ، فهناك كثيرون يريدون شهادات ذات (كادرات) وليس كل الراغبين في التعلم صالحين للتعليم الجامعي ، فليس من وضع الأمور في مواضعها إثقال كاهل الجامعة بكل هؤلاء .

وعلى ذلك فإن الاتجاه إلى الإكثار من معاهد التعليم الفني العالي اتجاه سديد ، إذ تنصرف إليها طائفة كبيرة من الطلبة لإعدادهم إعداداً فنياً عملياً في مختلف الشؤون والفنون ، ويتجه إلى الجامعة ذوو الاستعداد الملائم لها .

عباس خضر



إلى الأستاذ شعبى أحمد عبد القادر:

جاءنى أيها الأخ العزيز بضعة وعشرون رسالة من طراز رسالتك التى تكرمت مجلة الرسالة بنشرها فى عدد ١٥ نوفمبر الحالى صفحة ١٣٠٦، وقد تفضل كاتبوها كما تفضلت وأسبغوا على من ثنائهم الكريم ما أغرقنى فى بحر من الخجل. بعضهم كتبوا إلى عن يد الرسالة وبعضهم كتبوا إلى رأساً. ولم أشأ أن أنشر رسائلهم لئلا يؤخذ علىّ أنى أطنطن بخدمة عربية هى واجبة علىّ كالخدمة العسكرية. ولو كنت فى شرخ الشباب خالياً من المسؤولية لحملت بندقيتى ومشيت وراء المثل الأعلى الأستاذ أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة مع المتطوعين ممن قادهم إلى ساحة القتال يوم توالت الخطب فى الجامع وكانت خطبته كلمتين: « ليست خطبتى إلا أن أحمل بندقيتى وأمضى إلى الميدان فمن شاء أن يتبعنى فهلم »

وقد سمعت الأستاذ أحمد حسين غير مرة يخطب فما خيرت عنه المغفور له مصطفى باشا كامل. ولكن هاتين الكلمتين اللتين خطبهما فى الجامع كانتا أوقع فى نفوس السامعين.

ولو لم أكن قد بلغت من العمر عتياً، ولم يبق الوهن فى جسدى من القوة شيئاً، لحملت بندقيتى وجريت وراء الأستاذ طائعاً مجاهداً رضياً، وإنما ترك لى الوهن قلباً سوياً، يهز قلماً عربياً يزلزل لواء صهيونياً، ويدك عرشاً إزرائيلياً.

ولكن يظهر يا عزيزى أن مهاجمة الصهيونية لم تعد نافعة بل صار من الواجب « مواخزة » (من الوخز) الجامعة العربية عسى أن تتدارك الموقف وقد صار روياً. والله أسأل أن يغنينى عنهم وقد كنت بحول الله عنهم غنياً، إن الله كان بعباده المؤمنين مخلصاً وفياً.

نقولا الحداد

حول سوداء وسودا:

جاءنى فى « البريد الأدبى » تعقيب على كلمة كتبها الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد المفتش بالأزهر حول نصب (سود) صفة (لحلوبة) فى بيت عنترة:

فيه اثنتان وأربعون حلوبة ... سودا كخافية الغراب الأسحم

وقد قال الأستاذ المعقب: « لو صح نقل الأستاذ، وكان السواد صفة للحلوبة المفردة — لفظا ومعنى — لكان الصواب أن يقال (سوداء) وصفاً للمفردة وليس (سودا) وصفاً للجمع ومن ثم لا يكون (سود) — فى البيت — صفة للحلوبة، وإنما هو صفة للجمع على المعنى وهو اثنتان وأربعون ».

ونصحح البيت أولا فنقول: إن أصله « فيها اثنتان وأربعون حلوبة ... » وليس كما ذكر « فيه اثنتان ... ».

ثم نقول: إن (سودا) هذه فيها أربعة أوجه: وجه بالرفع وثلاثة بالنصب، وأحد هذه الثلاثة أن تكون (سودا) صفة لحلوبة، وليس يلزم أن نقول (سوداء) لتكون وصفاً لحلوبة المفردة، لأن (سودا) بالجمع يصح أن تكون وصفاً لحلوبة حملا على المعنى.

وليس هذا المعنى هو (اثنتان وأربعون) كما قال الأستاذ المعقب، وإنما المعنى هو أن (حلوبة) بمعنى (حلائب) فصح وصفها بالجمع وهو (سود).

(إسكندرية) **حسن صادق حميدان**

١ — اللباب فى الأنساب لابن الأثير:

يشترك كثير من العلماء: من أدباء ومؤرخين وفقهاء ومفسرين ومحدثين، وغيرهم، فى نسبة واحدة، كالنسبة إلى بلد أو جد أو صناعة أو قبيلة أو غير ذلك. فاذا ذكر أحدهم بنسبته فى مرجع من المراجع ربما التبس بغيره ممن يشاركه فى هذه النسبة لذلك ألف بعض العلماء كتباً باسم (الانساب) جعلوها كمعاجم لذلك، يضبطون النسبة ثم يسردون أسماء من اشتهر بها، مع المهم من ترجمته، ولا سيما مولده ووفاته، ويذكرون سبب شهرته بهذه النسبة، إلى غير ذلك.

ومن أعظم هذه المعاجم كتاب الانساب للسمعاني ، لكنه توفى قبل تهذيب الكتاب فجاء فيه أغلاط كثيرة فى الضبط ، وأهمل كثيراً من الانساب ، ونسب العلماء إلى بلد أو جد ، وهم فى الحقيقة ينتسبون إلى غيرها ، إلى أوهام فى تعيين مواضع بعض البلاد ، وغير ذلك .

فغدا الكتاب فى حاجة إلى عالم بارع نقاد يستدرك ما فات السمعانى من الانساب ليكون المعجم كاملا ، ويصحح أوهامه ، فقام بذلك شيخ المؤرخين عز الدين بن الأثير ، الذى اشتهر عنه أنه أملى كتابه (أسد الغابة فى الصحابة) من حفظه ، بلا مراجعة كتاب ، ولم يستطع من بعده من المؤلفين فى هذا الباب من كبار الحفاظ أن يستدركوا عليه إلا أشياء يسيرة

نهض لهذا الواجب العلمى فى تهذيب انساب السمعانى والاستدراك عليه ، وقال فى مقدمته :

انى أذكر جميع تراجم كتابه لا أخل منها بترجمة واحدة ، إلا أحوال الشخص التى لا حاجة إلى ذكرها ولا تزيد النسب وضوحاً ، وأن كثيراً منه لم آخذ منه سوى ما ذكرت لأنه لم يحتمل الاختصار ؛ وإذا عثرت على وهم فى كتابه بينته وأظهرت الحق فيه ، لا قصداً لتتبع العثرات ولا إظهاراً لعيبه ، وإنما فعلت ذلك إرادة لاظهار الحق ، وأن أنزه نفسى عن أن يقال رأى الخطأ فلم يعرفه ... وتبلغ تحقيقاته واستدراكاته على السمعانى نحو ربع المعجم

وقد نشرت (مكتبة القدسى) جزءين من هذا المعجم فى ٨٧٠ صفحة ، والباقى منه نحو ٣٠٠ صفحة أى ربع الكتاب جزاها الله خيراً

٢ — مر أنابيب البترول السعودى (عبر سورية) :

يقع مثل هذا التعبير فى الصحف بين حين وحين ؛ وقد اختلف أهل اللغة المعاصرون فى صحة هذا الاستعمال ، ولكنى وقفت على شاهد له فى (تاريخ الإسلام وطبقات الأعلام للذهبى ج١ ص ١٢٣ المطبوع حديثاً بالقاهرة) وهو قول سواد ابن قارب :

فشمرت عن ساق الأزار ووسطت
بى الذعلب الوجناء (عبر السباسب)

الذعلب : الناقة السريعة ، السباسب جمع سبب وهي المفازة

٣ — من سمى عمراً من الشعراء :

قال الأستاذ التنوخى فى الجزء ٩ من المجلد ١٥ من مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق : لمحمد بن داود بن الجراح مصنفات ممتعة جمة ، منها كتاب الشعر والشعراء ، وكتاب من سمي عمراً من الشعراء فى الجاهلية والإسلام ، وكتاب الوزراء ، ولم نعثر على غير كتاب الورقة . (ويترجم فيه لكل شاعر فى نحو ورقة واحدة)

مع أن فى دار الكتب المصرية كتابه (من سمى عمراً من الشعراء) وقد جرد جل أو كل ما فيه الإمام المرزبانى فى كتابه (معجم الشعراء) المطبوع بمصر

محمد أسامة

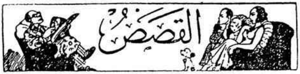
الأسبتاريه لا الأسبتاريه :

فى كلمتى عن الهدنة فى الإسلام بالبريد الأدبى فى العدد الماضى وقع تصحيف فى كلمة الاسبتاريه فأضحت الاستباديه .

والأسبتاريه « Hospitallers » ، هى طائفة من الفرسان أسسها جيرارد « Gérard » سنة ١١١٣ م . وقد آلت إلى جيرارد هذا إدارة مستشفى « Hospital » بالقدس ، لعلاج الفقراء والمرضى من الحجاج اللاتين . ومن هنا أطلق عليهم الـ « Hospitallers » ونقل المؤرخون العرب ومنهم القلقشندى هذه الكلمة مع بعض التحريف البسيط فأضحت الأسبتارية .

ولما توفى جيرارد سنة ١١١٨ م ، آلت إدارة المستشفى إلى ريموند « Raymond » الذى نقل عن فرسان المعبد الكثير من نظامهم العسكرى وأدخلهم على الأسبتاريه . هذا وقد لعبت هذه الطائفة من الفرسان دوراً كبيراً فى الحروب التى أثارها الغرب المسيحى على الشرق الإسلامى فى الأراضى المقدسة .

شفيق أحمد عبد القادر
كلية الآداب — قسم التاريخ
جامعة فؤاد الأول



الجد

للأستاذ عبد المغنى على حسين

من كان يرتاد أحد المتنزهات الكبيرة بالقاهرة كان يرى فى ضحى أيام الصيف مشهداً يتكرر يوماً بعد يوم وفى رتابة ودقة موعد، ويسترعى نظر من تستهويه نواحى الجلال والجمال والعاطفة

كان يرى « سامى بك » ذلك الضابط القديم الذى يحتفظ فى السبعين بقامته وسمته فى الأربعين يعلوهما تاج من شيبة جليلة، شيخ طويل مهيب، وليس فى بنيانه وقسمات وجهه غير التناسب الجميل، يقبل كل يوم فى موعد لا يتغير، بمشيته التى وهنت قليلاً لكن لم يزايلها ثباتها وانتظامها العسكرى، وعصاه الخفيفة بيمينه لا يتوكأ عليها بل لا يلمس بها الأرض إلا لماماً، ترافقه على الدوام حفيدة له، صبية فى نحو العاشرة، فيقصدان تواً إلى مقعد المتنزه ويجلسان إلى نضد بركن منه، ويأخذ الشيخ يطالع صحيفته والصبية تتسلى بتقليب صفحات إحدى المجلات ومشاهدة المتنزهين والمتنزهات، واللاعبين على العشب الأخضر واللاعبات .

ولم يكن يماثل إعجاب الناظر بروعة منظر الشيخ وحسن سمته سوى إعجابه وعجبه من الصبية الصغيرة أيضاً . كانت ذات ملاحة وظرف وحسن، لكن محاسنها لا تبدو إلا لمن يرقبها عن كثب لانطوائها وراء هدوء وصمت ورزانة تكبر سن الصبية بكثير، وتكاد تضارع فيها جدها الكبير .. كانت تمشى بجانب جدها فى خطو متزن وقامة معتدلة، ثوبها طويل محتشم وحقيبتها اللطيفة تتدلى من كتفها، ووجهها الصغير المستدير صامت جاد، ونظرتها إلى الأمام .. فإذا جلسا لم تكن تهز رجلاً أو تتلفت أو تبادىء جدها بحديث. فإذا طوى الجد الصحيفة نظر إلى حفيدته فى فرط حنان وإشفاق، وقال لها شيئاً، لعله يسائلها إن كان ثمة ما تريد، أو يريدها أن تطرح بعض احتشامها وتنزل إلى العشب لاهية مثل لداتها، فتجيبه بهزة نفى من رأسها الصغير وابتسامة شكر على ثغرها الرقيق .

هذا ما كان يطالع منهما عين الناظر العابر . لكن عين الناظر لا تستطيع أن تقرأ ما وراء الصور العابرة من قصص الحياة .. إن سامى بك تزوج فى صباه من سيدة ذات محتد وعاشا عمرهما لم ينجبا غير ابن وحيد . وتزوج الابن فأنجب ابنة هى هذه الحفيدة، وقسا القدر فمات الابن، ثم لحقت به زوجته بعد قليل، وخلفا الطفلة الصغيرة لا راعى لها إلا جداها الكبيران ثم قسا القدر على الشيخ قسوة أخرى كبرى فماتت زوجته، وخلفته فى شيخوخته يرعى نفسه ويرعى الحفيدة الصغيرة وحده، ينظر إلى شجرة الأسرة التى أنشأها فلا يرى باقياً منها إلا هو وفى طرف الحياة من عند نهايتها وهذه الصغيرة فى الطرف الآخر عند المبدأ .

إن فرط حنان الجدود على الصغار من أحفادهم وحبهم لهم أمر معروف، أما الحنان والحب من شيخ كبير وحيد لحفيدة صغيرة وحيدة يتيمة الأبوين لا راعى لها إلا هو فهما لا شك يبلغان الغاية أو يتجاوزانها . إن حنان سامى بك وحبه لحفيدته « عزيزة » مما تعجز الكلمات عن تصويره .

إنه ينظر إلى الرصيد القليل المتبقى له من أيام الحياة . ترى هل يمتد به حتى يرى « عزيزة » زوجة سعيدة ؟ لقد كان فى صباه لا يرهب الموت، وعلى الأهبة فى كل لحظة لبيع حياته بيعاً سمحاً عندما يقتضيها الواجب . كان ذلك والحياة قيمة، والشباب قشيب، وبساط الأمل زاه فسيح، وأفق المستقبل متألق بسام . واليوم وقد انقضت الحياة إلا نفاية من وهن وأوصاب، وبساطها قد انطوى إلا طرف يرتعش للانطواء، والأفق تخبو أضواؤه مؤذنة بانسدال الستار، يجد الشيخ نفسه أشد ما يكون حباً للحياة وحرصاً عليها .. من أجل « عزيزة » .

وكانت له فى الحياة أمانى أشتات، تزدحم بنفسه فى بعض الأوقات بالمئات، تحقق منها ما تحقق وأخفق منها ما أخفق، واليوم لا يعرف غير أمنية وحيدة، هى أن يعيش ليرى عزيزة ولجت باب الحياة، وثبتت على أرضها قدميها، ولم تعد بحاجة لقبضته الواهنة تأخذ بيدها، ويستطيع أن يستودعها ركناً آمناً

هانئا ، ويستقبل المصير الحتم لكل حى بقلب رضى وبال خلى .

لكن هب أن الأجل امتد به وتحققت الأمنية ، وذهبت عنه عزيزة فى زيجة سعيدة فكيف تكون حياته بعد ذهابها ؟ إنه حقا إنما يعيش من أجلها ، لكنه فى الوقت نفسه لا يعيش إلا بها . كانت فى حياته أنجم وأقمار وشموس فأفلت كلها إلا كوكب واحد هو هذه الصغيرة ، فإذا زحزحت هى الأخرى من سماء حياته ففى أى ديجور بعدها سيعيش ؟ ليس فى الوجود أرق نغما من صوتها ، ولا أعذب لفظا ونطقا وأظرف معنى من حديثها ، والحوار معها فى دروسها المدرسية متعة عقله وروحه وعود جديد إلى عهد الصبا الجميل ، والنزهة معها سبح مع ملاك فى فراديس ، ووجودها فى البيت يجمل فقره الموحش روضة من جنات النعيم . . أى بيت يكون هذا بغير وجودها ، حيث لا رفقة تبقى لذلك الشيخ غير الخدم والشيخوخة والأوصاب ؟ رفقة أشباح دميمة فى قاعات مظلمة بدار عذاب !

لكن هل شىء من هذا يهم ؟ وهل لشىء مما يتعلق بذاته الغاربة تلقاء ما يتعلق بذات « عزيزة » أى وزن ، وكيف لعاطفة صغيرة حقيرة من أنانية شوهاء أن تواجه فى نفسه القوى العارمة من الحنان والحب والواجب ؟ إن محيط نفسه الزاخر تلفظ جميع أمواجه هاتفة بتلك الأمنية وصوت الأنانية ضئيل هزيل فى موضع سحيق بقاع المحيط لا يصل إلى أذنه ولا يستبين .

ومضت سنون ، وأتمت عزيزة دراستها ، واستوى قدها ، واكتملت أنوثتها ، تلك الهمسة الخفية التى تسرها الطبيعة فى نواة جسم الأنثى فإذا حان الحين نبت السر متلويا فى قامة هيفاء لدنة كغصن البان ، وحقاق على الصدر مرمرية فى استدارة الرمان ، والمفاتن الأخرى التى لا يغنى فيها بيان عن عيان .. لكن الأنوثة وإن كانت واحدة إلا أنها تختلف كاختلاف لون الورود وعطرها . لقد نمت عزيزة إلى فتاة ممشوقة نحيلة القوام ، صامتة جادة حيية ، فى بياض بشرتها شفافية لطيفة عاجية ، ووجهها حلو القسمات صغير مستدير ، وعيناها جوهرتان أصفى من الندى أشربتا بلون عنبرى عميق .

ولم يكن العريس الحبيب عليها بعزيز ولا منها ببعيد ... إنه شاب وسيم يكبرها ببضع سنين ، يشغل وظيفة طيبة فى مؤسسة مصرية كبيرة ، يمت إلى عزيزة بقربى من ناحية الجدة ، ويمت اليها بما هو أقرب ، تماثل فى العقلية والطبع الهادىء الجاد الرزين . واسمه « فريد » .

لقد تقدم لخطبتها غيره كثيرون ، لكن ما منهم من ارتاح إليه البك الارتياح كله لأسباب ارتآها ، أو هفت اليه عزيزة بكامل قلبها لأسباب لا تعرفها ، إلا فريد فقد حل من نفسيهما معا فى المكان المكين .

وتمت خطبة عزيزة لفريد ، وراح بعد المدة لاستكمال نصفه الذى صحا ذات يوم على افتقاده . كم هى حافلة تلك الأيام يخطو فيها الشاب خطواته ليصبح ربا بعد أن كان فردا ، ويأخذ إلى فلكه كوكبا ليدورا معا وكان يدور حول نفسه فقط .. وكان لفريد دارة (ڤيلا) صغيرة راح يعدل فيها ويهيىء كى تصبح العش الجميل له وللالف الحبيب .

وأخذت عزيزة تتهيأ لتقلد وظيفتها وأداء رسالتها ، رسالة الحب وما يؤدى إليه من صنع خيوط جديدة فى نسيج البشرية .

وجاء فريد ذات يوم ليتفق مع البك والعروس على يوم الزفاف وحدده ، وانصرف الشاب ، وشيعه البك وهو يشد يده فى تهنئة دافئة ودعابة لطيفة .

والتفت البك إلى حفيدته العزيزة ليهنىء ويداعب ، فلم يرعه منها إلا نظرة إليه بعينيها الفاتنتين تترقرق فيها دمعتان كقطرتى ندى على نرجستين .

قال الشيخ مندهشا : ما بك يا ابنتى ؟! . هل تبكين ؟!

قالت : يا جدى لا أدرى كيف أبعد عنك وأتركك تعيش وحدك !

فأحس الشيخ برجفة نفسانية ، وكاد أول وهلة أن يشاطر الفتاة الجزع لكن لم يلبث أن تجلد وربت كتف عزيزته وهو يقول : يا ابنتى لن تكونى بعيدة . أما عن عيشى وحدى فلا تنسى أنى جندى ، والاخشيشان والاستكفاء الذاتى بعض ما عرفته وألفته ، ومهما تقدمت بى السن فلن أضيق بشىء من ذلك ولعلى أتوق إليه .

هذا ما قاله لها . أما ما دار بخاطره فهو : ترى ماذا يمنع من أن تعيش وحيدتى العزيزة هذه معى هنا هى وفتاها بعد زواجهما

حتى أموت ؟! . لم لا أخاطب فريدا فى هـذا فقد يرضى به ؟ . . لـكن لا . لقد كنت يوما شابا خاطبا مثله ، ولم يكن يخطر ببالى إذ ذاك ، ولى بيت أن أعيش بزوجتى مع أهلها فى بيتهم ، ولو طلب إلى ذلك ما كنت أفعله إلا كارها . . كلا ، ليس أحب إلى عروسين صغيرين من عش خالص لهما ، يمرحان فيه على هواهما ، ويضحكان بطلاقة ، ويتحابان بلا تحرج ، ويختلفان إذا لزم الأمر بغير كبت . حرام على أن أنشد هنائى على حساب شىء من هنائهما . كلا ، لن أثقل عليهما بظلى فى شيخوختى مثقال ذرة .

وجاءته عزيزة فى يوم آخر متهللة الوجه ، تجر وراءها فريدا من كمه ، قالت : ياجدى ، لقد أقنعت فريدا بأن يترك فلته ونعيش معك هنا فى بيتنا . . ورضى .

— أقنعته ؟ ! . . ورضى ؟ !

قال الشاب : إنى على استعداد يا سيدى البك لأن أفعل أى شىء يكون فيه راحتك وهناء عزيزة .

فأطرق الشيخ برهة ، ثم قال . يا بنى إن فلتك جميلة جدا ، وأنا أتطلع إلى اليوم الذى أزوركما فيه هناك وأجلس فى شرفاتها اللطيفة وأستمتع بما يحيط بها من مناظر بديعة . إنى شيخ كبير وأصبحت أسأم المكان الواحد وأحب تغيير المناظر .

فأطرق الشاب مرتبكا ولم يدر ماذا يقول . وحدقت الفتاة أمامها وقـد أسقط فى يدها هى الأخرى . وزفت عزيزة لفريد ، وسافرا لقضاء شهر العسل فى مصيف لطيف .

فلما حل يوم عودتهما كان الشيخ الكبير فى انتظارهما بالمحطة ، ولو قبع فى داره مستريحا لخفا اليه حال عودتهما ، لـكنه لم يستطع صبرا ، ولم يكن يدرى هل غابت عنه عزيزة شهرا أم دهرا . وبعد أن ضمها وقبلها فى الجبين عرف من أحاديثها الفرحة أن السعادة التى كان يحلم بها لها صارت حقيقة . . وتركهما يذهبان وعاد إلى داره قرير العين .

وفى الغد زاراه فى داره : وبعد الغد أخـذ سمته إلى فلتهما لزيارتهما ، فراحا يحتفيان به ويجلسان فى كل غرفة وكل شرفة ليمتعاه بالفيلا الجميلة والمناظر البديعة كما كان يقول . . وكان وجهه يتهلل بشرا وسعادة ، وقل صمته وجده ، وكثرت دعاباته اللطيفة وملحه الطريفة . وغادرهما فى المساء وعاد إلى داره .

وداعب خادمه النوبى لأول مرة فى حياته حتى ابتسم الخادم عن نواجذه ألبيض أمام سيده لأول مرة أيضا . . وتناول عشاء خفيفا ، بعض الفاكهة وفنجانا من القهوة ، ثم أوى إلى فراشه .

واستيقظ بعد انتصاف الليل على ضيق فى التنفس وحزة فى القلب واسطة الجسم وصميم الحياة . فتح عينيه وتقلب كيما يخف الألم وتسترجع الأنفاس ، لـكن الألم لم يخف والضيق ازداد . فمد يده وأضاء النور ، ثم تحامل حتى جلس متكئا ، فلم يغنه ذلك شيئا . فمد يده ودق الجرس مستدعيا خادمه ، وكان الخـادم قد أحس يقظة سيده فى تلك الساعة من الليل على غير عادة ، فخف اليه فرآه ممسكا بصدره مكروبا .

— مالك يا سيـدى ؟ ! . . سلامتك يا سيدى ! . . هـل استدعى الدكتور ؟

— لا . . إعمل لى شيئا من شراب ساخن . . فنجانا من اليـنسون .

وعندما عاد الخادم بفنجان اليـنسون ألقاه على نضد وقد كاد أن يسقط من يده .

— سلامتك يا سيدى ! . هل أستدعى سيدتى عزيزة هانم ؟

— لا تزعجها . . بلغها . . سلامى .

وتشهد . . وانتهى .

عبد المغنى على حسين



معـــنى النـكبة (*)

تأليف الدكتور قسطنطين زريق

«معنى النكبة» هو كتاب جديد للدكتور قسطنطين زريق وكتاب الدكتور زريق هذا يذكرنا بكتاب سابق له هو وإنما ينزعان إلى رأى واحد كتاب «الوعى القومى». وليس الكتابان فى موضوع واحد وفكرة واحدة ، هى الفكرة القومية ، التى يرى فيها الدكتور من دون غيرها فكرة الخلاص للشعوب العربية فى جميع أقطارها ومع أن كتاب «معنى النكبة» يقوم على الفكرة القومية إلا أنه كتب عن الوضع الحاضر فى فلسطين . وعنوان الكتاب يدل على أن الدكتور يعتقد (ونحن نوافقه) أن ما وقع فى فلسطين كان نكبة بكل ما فى هذه الكلمة من معنى . بل هو يقول : إنها جاءت « محنة من أشد ما ابتلى به العرب فى تاريخهم الطويل على ما فيه من محن ومآس » .

ويتناول الدكتور فى كتابه هذا الصغير ، الذى ينشره فى وقت ملائم ، مواضع تدل عناوينها بعض الدلالة على ما فيها ؛ فهو يبدأ بالحديث عن « فداحة النكبة » ثم يتحدث فى فصل آخر عن «معنى النكبة» فى هذا الباب وعن «الحل الأساسى» و « المعالجة القريبة » لدرء هذه النكبة التى حلت بالعرب . وكان المؤلف قد كتب قبل أن ينشر هذا الكتاب فصلين أذاعهما قبل ظهور الكتاب : أحدهما عن « الصراع بين المبدأ والقوة فى قضية فلسطين» والآخر عنوانه «لماذا نجاهد فى فلسطين»

وأنت تقرأ الكتاب كله فتشعر بميزتين أو ثلاث له ، تبرز بروزاً واضحاً لا غموض فيه : فأما واحدة من هذه الميزات فهى أن الكتاب يعبر تعبيراً تاماً عما يجول فى خاطر الناس بعد ما وقع فى فلسطين . فالناس بعد هذا الذى وقع تبلبلت أفكارهم وتحيروا ماذا يقولون . وقد عبر المؤلف تعبيراً صادقاً وألم به إلماماً موفقاً . وميزة أخرى للكتاب هى أنه ينظم البحث تنظيما يدل على فكر منظم وعقل مدبر . وقد عرف هذا عن الدكتور زريق فى تآليفه ، ويظل ما عرف عنه صحيحاً فى هذا الكتاب الصغير . وميزة ثالثة للكتاب نوردها لأننا نتحدث عنه لا لأنها كبيرة الأهمية وهى الوضوح فى التعبير ، والجمال الطبيعى فى الأسلوب ، والجدة فى الأداء ؛ صفات تستهويك حين تطالع فصول الكتاب فتكسبه عند عامة القراء قوة على إبلاغ الرأى الذى يراه المؤلف إلى ذهن القارىء فى يسر وإمتاع .

وعند ما يتحدث الدكتور زريق عن « معنى النكبة » التى حلت بالعرب فى قضية فلسطين ، يقول شيئاً يجد القارىء العادى صعوبة فى إدراكه ، ولكنه صحيح وإن كان مطبوعاً بالطابع النظرى المحض . فالدكتور يقول : إن النكبة تقاس بمقدار تأثيرها فى نفسية الشعب العربى . فإن هى أرهقت هذه النفسية وشلت قدرتها على الصمود فى وجه التعسف والإغراء ، وإن هى مكنت لقوى الرجعية العربية من السيطرة وانهزمت أمام هذه القوى ، وإن هى لم تثر مواطن الضعف ولم تحتفظ بعناصر القوة فقد وقعت كنكبة ، وإن كان الأمر على العكس من ذلك فلم ترهق النفس العربية ولم تشل قدرتها على الصمود فى وجه الظلم ولم تهن أمام قوى الرجعية والإغراء ، عادت وكأنها ليست نكبة وإنما كانت مناسبة لتنقية جوهر الأمة العربية وبلورة كيانها .

وهذا كله صحيح وإن لم أشعر أن المؤلف الكريم وفق كل مرة إلى وصف الطريقة التى تمكننا من أن نصمد لما حل بنا ، وأن نخرج منه بعبرة للمستقبل بحيث نخرج كما قال « من العسر يسر ومن النكبة بذور ظفر » وسأبين ذلك عن قريب ؛ لأننى أحب فى هذه اللحظة أن أتحدث عن أهم ما تناوله الكتاب ، وأهم ما جاء به فى نظرى هو الحل الذى يراه للنكبة التى وقعت بفلسطين ، وهو يقسم الحل إلى قسمين : أحدهما « المعالجة القريبة » والآخر « الحل الأساسى » وكلا الموضوعين هام تطالعه فى شغف وسرعة

وهو يرى أن المعالجة القريبة تقوم على أركان خمسة : هى تقوية الإحساس بالخطر ، وتجنيد قوى الأمة الحربية بكاملها ، وتحقيق أكبر قسط من التوحيد الممكن بين الدول العربية فى ميادين الحرب والسياسة والاقتصاد وسواها . والركن الرابع هو إشراك القوى الشعبية فى النضال ، أى لا يقتصر الجهاد على الحكومات والجيوش النظامية ، والركن الخامس فى الجهاد العربى لحفظ فلسطين هو استعداد العرب للمساومة ، وللتضحية ببعض المصالح لدرء الخطر الأكبر

هذه هى الأركان الخمسة عند الدكتور زريق للمعالجة القريبة

(*) التى حلت بفلسطين

لقضية فلسطين ، وهو يشرح كل واحد من هذه الأركان شرحاً وافياً لا مجال للخوض فيه ههنا ، وأنا أثق على كل حال أن القارىء الكريم سيعرف شيئاً من المقصود بهذه الأركان من مجرد ذكر عناوينها ، وذلك لثقافة الناس العامة الآن بقضية فلسطين وبقضايا بلادهم . ولا أتعرض لأي واحد من هذه الأركان اللهم إلا لركن المساومة السياسية هذه ، التي يتحدث عنها الدكتور ، على أساس موجب أشد الوجوب للنقد ، وسأوضح لك ذلك عما قريب .

أما المعالجة البعيدة لقضية فلسطين ، أو الحل الأساسي فيتطلب عند المؤلف «حرباً مديدة الأفق بعيدة الأجل» وتبدلا «أساسياً في الوضع العربي ، وانقلاباً تاماً في أساليب تفكيرنا وعملنا وحياتنا بكاملها» إنه يتطلب «كياناً عربياً قومياً متحداً تقدمياً» «وإنشاء هذا الكيان هو الركن الأول للجهاد العربي البعيد» ثم يمضي الأستاذ فيشرح كل واحدة من هذه الصفات التي يجب أن يتصف بها الكيان العربي . وهو يلاحظ أثناء هذا الشرح أن أساليب تفكيرنا ما تزال عتيقة وأننا لا نساير الزمن فنأخذ مما في الحضارات الإنسانية من قيم عقلية وروحية .

ولو أردنا تقريب قسمي الحل لقضية فلسطين من أذهان القارىء الكريم لقلنا إن الدكتور زريق يضع أركاناً خمسة لكل من الحلين القريب والبعيد لقضية فلسطين . ومجموع ما يريد من كلا الحلين يتلخص في خلق أمة عربية على طراز الأمم الغربية . ويشمل ذلك القوة العسكرية والقوة العلمية والخلقية والاقتصادية وبعض هذه القوى يحتاج إنشاؤه إلى زمن طويل . والذي أراه أن أعجل ما يمكن أن يأتي بنتيجة من آراء الدكتور هو ما أسماه «المساومة» فالواقع أن هذا سلاح ماض جداً في أيدي العرب إذا سددوه إلى ناحية أصاب الهدف وأصمى .

فالعرب يشبهون في عالم السياسي الحاضر وضع اليهود بين حزبي الجمهوريين والديمقراطيين في أمريكا أو وضع حزب الأحرار بين حزبي العمال والمحافظين في بريطانيا — إذا مالوا بثقلهم مهما هان شأنه على ناحية من ناحيتي الكتلتين العالميتين اليوم ، رجحت كفته بثقلهم وانتصر على خصمه . وهذا السلاح الماضي لا يقتضي إلا اتفاق الرأي بين العرب في جميع أقطارهم على الناحية التي يرجحونها . وهم غير مضطرين حين يرجحون كفة أن يظلوا على موقفهم زمناً طويلا . بل الواجب يقضي أن يبدلوا موقفهم بحسب الظروف تبديلا يلائم مصلحتهم كافة . وهذا السلاح الماضي من أسلحة المعالجة القريبة يستطيع العرب أن يفيدوا منه منذ الآن، إنه لا يحتاج إلى مثل ما تحتاج إليه الأسلحة الأخرى من استعداد طويل ووقت بعيد ، ففي العرب اليوم فئة من الساسة المحنكين الذين يفهمون التيارات السياسية العالمية وما يحمل في طواياها من مغازم قادرون إذا أخلصوا أن يوجهوا شعوبهم معهم إلى الناحية التي يجدون فيها الخير لهم .

وهنا أستطيع أن أوضح لك الخطأ الكبير الذي ارتكبه الدكتور زريق حين تحدث عن أحد أركان المعالجة القريبة وهو «المساومة» ، وحين شرح لقرائه معنى كلمة «تقدمي» التي وصف بها الكيان العربي الذي يريده . قال الدكتور إن الخطر الصهيوني لا يرده إلا كيان عربي قومي متحد تقدمي . وهو حين استعمل هذه الصفة (تقدمي) يقول «إن قوميينا إذا أرادوا أن يحاربوا الشيوعية حقاً فسبيلهم الوحيد أن تكون قوميتهم مجارية لقوى الزمان (ص ٤٨) فمحاربة الشيوعية عند الدكتور إذن إرادة صميمة يدل الناس على السبيل الوحيد إليها . ولكنه حين تحدث عن أركان الجهاد العربي لحفظ فلسطين تكلم عن استعداد العرب للمساومة مع الدول الأخرى على أساس تبادل المصالح والمنافع . وهذا حق في نظرنا . فإذا أراد أن يبسط معنا للقارىء قال : «لا نحالف مثلا الدول الديموقراطية على الشيوعية ونضطهد الأحزاب اليسارية في بلادنا لوجه الله وجرياً مع الصداقة أو لمجرد التخاذل» إن الاستعداد للمساومة على الحقوق المتبادلة عنصرها من عناصر الجهاد العربي كما ذكرنا والعرب يفتقرون إلى استخدامه كل الافتقار ، والعالم الآن منقسم إلى قسمين فقط: الديموقراطية والشيوعية . فإذا نفى الدكتور قابلية المساومة مع الشيوعية لأننا يجب أن نحاربها كما سبق ، فلم يبق معنا من طرف نساومه إلا الديموقراطية ، فإذا أدركت الديموقراطية أن المساومة لا تكون إلا معها بطل معنى المساومة وتمنعت الديموقراطية معنا فأخذت منا دون أن نأخذ منها ، وهذا هو السر الأكبر للضعف في موضوع فلسطين في الوقت الحاضر ، والدكتور لا يخلصنا منه ، وإني أثق أن المؤلف فعل ذلك عن نية حسنة .

وبعد فقد قال الدكتور في مقدمة كتابه «لست أدعي أني في هذه الدراسة قد "اخترعت البارود" وإنما هي محاولة لتصفية تفكيري في هذه الأزمة الخانقة» . والحق أن الكتاب لابد وأن يكون قد أحدث صفاء في التفكير عند القراء الذين طالعوه في الوقت الذي يجب أن يطالعوه فيه . والفضل في ذلك يعود إلى المؤلف الكريم .

١ – بناء دولة – مصر محمد على

[للدكتور محمد فؤاد شكري الأستاذ بجامعة فؤاد الأول وزميليه الأستاذين عبد المقصود العناني وسيد محمد خليل]

هذا كتاب كنا ننتظر صدوره من زمن بعيد ، فقد أضاف إلى مكتبة « محمد على » كتاباً جديداً حافلا بالدراسة المستقلة من ناحية ، وبالوثائق السياسية من ناحية أخرى . أما الدراسة المستقلة فقد عالج المؤلفون فى القسم الأول من الكتاب موضوع أحوال مصر الداخلية فى عهد محمد على معالجة لم تعتمد على تكرار ما هو متداول فى كتب التاريخ ، مما هو معروف ومشهور ، بل أضافوا نواحى جديدة لم تظهر قبل فى مؤلف عربى . وقد أتاح لهم ذلك اطلاع واسع على مكتبة « محمد على باشا » الفنية فى المؤلفات الأوربية . ولم يكتف المؤلفون بسرد آراء الأجانب على سبيل التدوين ، وإلا كان الكتاب سجلا تضيع منه قيمة التحقيق العلمى ، ولكنهم كانوا يناقشون الآراء فى اعتزاز وصحة حكم حتى بدت على وجهها الصحيح .

أما الوثائق السياسية فهى خير علىي يضاف إلى ما فى الكتاب من خير كثير ، فقد عمد المؤلفون إلى ترجمة بضعة من التقارير المعاصرة لعهد محمد على وهو يهم ويمضى فى بناء دولة مصر من الداخل ، وهى وثائق يطمئننا المؤلفون إلى أنهم رأوا فى اختيارها ما يجعلها جديرة بالاطمئنان إليها فى رسم صورة دقيقة للمصر الذى تتناوله . ومهما يختلف الرأى فى قيمة التقارير تبعاً لما تمليه أهواء أصحابها أو عواطفهم فإنه مما لا شك فيه أن الأجانب كانت عيونهم مفتوحة على كل حركة يصدرها العاهل الكبير ، وأنهم لم يدعوا ناحية من النواحى البنائية الإنشائية فى مصر محمد على إلا درسوها دراسة جدية ؛ حتى أن أحد هؤلاء ، وهو السير جون بورنج لم يترك فى تقريره عن مصر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . فتحدث عن الزراعة والصناعة والضرائب والإدارة والجيش والتجارة والصحة العامة والقضاء والتعليم حديثاً مدعما بالإحصاء ومؤيداً بالملاحظة الدقيقة ، ولما كانت البيانات الرسمية غير منسقة له فقد كان يتصيد البيانات من مصادرها الأولى ؛ كالمعامل فى إحصائه عن معامل السكر التى كان يملكها ابرهيم باشا ؛ فقد طلب البيان من ناظر المعامل وترجمه ليكون ضمن تقريره .

وكان السير بورنج موفداً من قبل حكومته لوضع تقرير شامل عن حالة مصر ، فقدم إليها سنة ١٨٣٧ ، واتصل بكثير من الموظفين فيها للحصول على بياناته ، واستعان كثيراً بالقنصل الإنجليزى « كامبل » الذى زوده بكثير من الإحصاءات الزراعية والصناعية .

لقد كانت تقارير بورنج وكامبل وهودجسون ومن إليهم فى غير متناول القارىء العربى ، إلا ما كان من نتف هنا وهناك يترجمها المؤرخون المصريون فى معرض الحديث عن شىء معين ؛ ولكن مؤلفى هذا الكتاب قرّبوا هذه التقارير كاملة من القارىء العربى ، بل سهلوا الحصول على تقرير بورنج الذى لا توجد منه فى العالم إلا نسخ قليلة جداً .

٢ – الشمس الحزينة أو حياة غاندي

(تأليف الأستاذ محمد كاظم)

وهذا كتاب لطيف فى حياة غاندى ، وهو أول كتاب عربى ألف فى حياة المهاتما بعد مماته . ويمتاز بسلاسة فى التعبير كأن المؤلف يحكى حكاية عن شمس كانت ساطعة ثم جنحت إلى الغروب . وقد كانت أم غاندى تنتظر الشمس ؛ عند شروقها فإذا ما رأتها ساطعة تهلل وجهها بالبشر كما خفق قلبها بالدعاء ؛ وكانت السحب الكثيفة حينما تلف وجه الشمس بالحجاب تبدو هذه الشعلة السماوية فى ثياب الحزن ، كما تحزن أم غاندى ويحزن معها ولدها الصغير لأن السماء مظلمة .

ولهذا سمى المؤلف كتابه « الشمس الحزينة » .

لقد ظهرت كتب فى العربية عن حياة غاندى كان المؤلفون يلتمسون منها المثالية الكاملة فى إنسان رفعته الإنسانية العالية إلى مراتب « السوبرمان » . وظهر بعد وفاة غاندى كتاب الأستاذ كاظم هذا ، وكتيب آخر للأستاذ طه السيد ظهر منذ بضعة من الأيام . فبدا غاندى بعد مماته أروع مما كان فى حياته ؛ لأن الفكرة الخالدة لا تموت .

وكانت فى حياتك لى عظات   وأنت اليوم أوعظ منك حيا

وكان غاندى – كما يقول المؤلف – يصوم (ليواجه غضب الطبيعة وجهل البشرية ...) ؛ أما الطبيعة فلا سبيل إلى إرضائها متى ثارت ؛ لأنها تثور فوق إرادتنا ، وتجرى على غير مشيئتنا ، فهل إلى تعقل البشرية الحمقاء من سبيل ؟

عبد الغنى

شلى بروميثوس طليقا

ترجمة لويس عوض

« ماجستير فى الأدب الانجليزى من جامعة لندن والمدرس بجامعة فؤاد »

دراما غنائية رائعة فى أربعة فصول كتبها الشاعر الانجليزى المعروف بيرش شلى ونقلها إلى العربية الأستاذ عوض ، وقد قدم الكتاب بمقدمة عن الحركة الرومانتيكية ولكنها مقدمة طويلة تحتل نصف الكتاب تقريباً ، وهى رغم طولها طريفة شيقة تمهد لمعرفة جو المسرحية ، وختم الأستاذ لويس كتابه بترجمة قصيدة أدونيس لشلى وهى تلك المرثية الرائعة التى نظمها فى موت صديقه الشاعر جون كيت .

وقد تحدث فى المقدمة عن الانقلاب الصناعى فى انجلترا ، وأثره فى دراسة الأدب ، وتخرج الفوج الأول من المدرسة الرومانتيكية وهم : وردزورث وكولريدج وسوذى وسيروالترسكوت والفوج الثانى منها وهم : بيرون وشلى ؛ وكيت وعرض عرضاً تاريخياً للنظم السياسية فى إنجلترا ، ثم انتقل إلى كلمة الرومانتيكية وبين أصلها فى اللغة ورأى الأدباء والشعراء فى تعريفها فى أوربا

أما المسرحية فيمكن تلخيص فكرتها فى تلك العبارة : « إن القوة الطاغية خطيئة » وهى عبارة قالها بروميثوس فى الفصل الأول من المسرحية وتعرض لرأى شلى أيضاً فى السياسة والأخلاق والاجتماع ؛ فجوبتر ملك الأرباب والشياطين وسيد الأرواح نصب نفسه حاكما مطلقاً وأخضع سائر الآلهة إلا بروميثوس صديق البشر الذى سرق النار الإلهية وهى نار العلم وخلص البشر من الجهل فصلبه جوبتر على شما هاوية سحيقة وأطلق عليه النسور الضوارى تنهش جسده وربات الانتقام أو النوريات يصمن قلبه بجراح معنوية غائرة ولكن بروميثوس عول على محاربة جوبتر بسلاح الخير فهوى جوبتر من فوق عرشه المظلم وتقوضت أركان ملكه المكين ، وظهر هرقل رمز القوة ففك أغلال بروميثوس رمز الحرية فى الوجود حيث أعرس من آسيا نور الحياة وصورة الجمال التى ليس لها نظير …

والمسرحية تصور ثورة الحرية على الطغيان وما هى إلا صدى للجهاد المنيف فى سبيل حقوق الإنسان الذى تأثر به شلى ، ولا يزال العالم يكتوى بناره حتى اليوم وأسلوب الترجمة يرتفع حيناً إلى آفاق البلاغة وينحدر حيناً إلى أعماق الركاكة ويرجع هذا إلى المؤثرات فى مزاج المترجم من حين إلى حين ، وفى الأسلوب بضعة أخطاء حرفية ونحوية واستعمالات لألفاظ وجمل مبتذلة تنبو عن أسلوب أستاذ جامعى كلفظة « أسطوات » و « عاشا فى ثبات ونبات » ويمكن المترجم السمو بأسلوبه بقراءة الكتب العربية القديمة ولكن أسلوب الترجمة لقصيدة أدونيس يرتفع عن المسرحية فى بعض المواضع

مهما يكن من شىء فجهد الأستاذ لويس جهد مشكور ونتمنى أن يتحف المكتبة العربية دائماً بنفائس الأدب الإنجليزى

ابراهيم جمال الدين الرمادى